جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم التسجيل: 280/102323044099811

رقم التسجيل: 2023323044102549

عنوان المذكرة:

البايلك والريف الجزائري في العهد العثماني (1518-1830)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ تخصص: تاريخ حديث

إعداد الطالب:

✓ الربح تالي

✓ سميحة سحنون

إشراف الدكتور:

✓ أحمد مسعود سيد علي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
كمال بيرم	أستاذ محاضر	رئيسا
أحمد مسعود سيد علي	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا
عاشور قودر	أستاذ محاضر	ممتحنا

السنة الجامعية 2024/2023

تشكرات

إن الحمد والشكر لله تعالى على توفيقه

لنا لإتمام هذا العمل، والذي نتمنى أن يفيد الجميع، من طلبة وأساتذة .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل

"أحمد مسعود سيد علي"

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته، وإرشاداته، ونصائحه القيمة

كما لا ننسى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة تشجيعية .

إهداء

أشكرك وأحمدك ربي, حمداً كثيرا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك, يا خير معين يا من استجاب لدعواتي اثني عليك الشكر كله وأحمدك يا الله

اهدي ثمرة جهدي هذا:

إلى من جعل الله طاعتهما بعد عبادته واجبة

إلى التي حملتني وهنا على وهن، إلى من كانت رمز محبتي وحناني

أمي أطال الله في عمرها

إلى من اشرف على تربيتي, إلى من كان سندي في الحياة وقرة عيني

أبي العزيز رحمه الله

إلى زوجي العزيز أطال الله في عمره

الى اولادي (إبتهال-أماني-أيهم) واخوتي وكافة العائلة

الريح تالي

إهداء

أشكرك وأحمدك ربي, حمداً كثيرا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك, يا خير معين يا من استجاب لدعواتي اثني عليك الشكر كله وأحمدك يا الله

اهدي ثمرة جهدي هذا:

إلى من جعل الله طاعتهما بعد عبادته واجبة

إلى التي حملتني وهنا على وهن، إلى من كانت رمز محبتي وحناني

أمي أطال الله في عمرها

إلى من اشرف على تربيتي, إلى من كان سندي في الحياة وقرة عيني

أبي العزيز أطال الله في عمره

الى ابني و أخي و أختي و أولادهما و كافة العائلة

سميحة سحنون

مقدمة

لطالما توالت الأحداث على منطقة المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) منذ القدم ، و لعل الفترة العثمانية أحد هذه المحطات الهامة ، كيف لا وقد استمر التواجد العثماني في هذه المنطقة طيلة 3 قرون ، مؤثرا بذلك على جميع جوانب الحياة العامة بالجزائر ، و لقد برز هذا التأثير على كل الأرياف في مختلف ميادين الحياة ، و في كل منطقة وصل إليها النفوذ التركي في تلك الفترة ، في مناطق إقليم بايلك الشرق و بايلك الغرب، التي يمتد أصولها إلى عمق التاريخ ، و التي تزدهر بجميع مجالاتها الاقتصادية والسياسية ، الثقافية و الاجتماعية، مقارنة بنظيراتها في تلك المنطقة و من هذا المنطلق اخترنا أن يكون موضوع دراستنا الريف في الجزائر خلال العهد العثماني ، متخذين إقليمي بايلك الشرق و بايلك الغرب كنموذج للدراسة ، و محاولين بذلك إبراز الحياة العامة في الريف.

فقد عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية وضعا اجتماعيا متميزا ونشاطا اقتصاديا خاص تحكمت فيه عدة عوامل على مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية وهو ما جعله قضية الاعتماد على الريف ومداخيله وموارده الأولية تصبح من أولويات السلطة العثمانية في الجزائر وجعل الأرياف في أيادي القوى المحلية حيث حافظوا على النظام التقليدي للقبائل من حيث تسير وتنظيم وجمع الضرائب، فنجد أن أغلب المؤرخين يجملون على أن سكان المجتمع الريفي خلال العهد العثماني كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة وهم يعيشون في قبائل متناثرة.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في معرفة كيفية التركيبة السكانية للمجتمع الريفي والدور الذي لعبه خلال العهد العثماني

أسباب اختيار الموضوع:

لقد ساهمت العديد من العوامل في اختيار موضوع الدراسة حيث تنوعت بين شخصية وموضوعية وبذلك يمكن حصر ذلك كالتالي: هو البحث والكشف عن العناصر المكونة لهذا المجتمع الريفي

في فترة العثمانية من تاريخ الجزائر الحديث

– ميولنا الشخصي لدراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني معرفة أصول وأحوال المجتمع الريفي من كل جوانب

– البحث عن نوعية العلاقة التي تربط المجتمع الريفي الجزائري بالحكم العثماني.

إشكالية الدراسة:

مما سبق ارتأينا أن نضع الإشكالية التي سنحاول من خلالها الوصول إلى العديد من النتائج التي تخص الدراسة وهي كالاتي:

إلى أي مدى تمكن الحكم العثماني من السيطرة وخلق الاستقرار داخل المجتمع الجزائري الريفي؟ وماهي الآليات التي اعتمد عليها في التحكم بهذا المجتمع؟

الأسئلة الفرعية:

ما الفرق بين البادية والريف؟

ما هو أصل سكان الريف الجزائري؟

وما مدى فعالية الفئات داخل المجتمع الجزائري الريفي؟

كيف كانت أوضاع المجتمع الريفي الجزائري خلال العهد العثماني؟

خطة البحث:

وللإجابة عن هذه الإشكالية ارتأينا إلى خطة بحث تضمنت مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة الخطة كالتالي:

الفصل التمهيدي: هو تقديم لمحة عامة عن البايلك والريف الجزائري

الفصل الأول: معنون الريف في بايلك الشرق خلال العهد العثماني وقسم إلى ثلاث مباحث المبحث الأول تطرقنا فيه إلى المجتمع الريفي في بايلك الشرق والمبحث الثاني تناولنا فيه الحياة

الاقتصادية والسياسية أما المبحث الثالث فضم الحياة الاجتماعية والثقافية.

أما الفصل الثاني: معنون الريف في بايلك الغرب خلال العهد العثماني قسم إلى ثلاث مباحث: المبحث الأول تناول المجتمع الريفي في بايلك الغرب، أما المبحث الثاني تناول الحياة الاقتصادية والسياسية، أما المبحث الثالث فتطرقنا الحياة الاجتماعية والثقافية.

المنهج المتبع:

ولتحليل عناصر هذه الخطة اعتمدنا على مناهج مختلفة تنوعت ما بين المنهج الوصفي في وصف الحياة العامة في الريف، في الجانب الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، ولمحاولة معرفة أسباب التقارب والاختلاف استعملنا المنهج التحليلي، كل هذا تم في قالب تاريخي لما يحتويه الموضوع من أحداث تاريخية متسلسلة تسلسلا كفونولوجيا

الإطار الزماني والمكاني من (1518-1830) أي من بداية الحكم العثماني في الجزائر إلى الاحتلال الفرنسي.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

تمت دراسة الموضوع من خلال الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع القيمة بالإضافة إلى مجلات ورسائل وأطروحات جامعية منها:

المصادر:

ويليام شالر "قنصل أمريكا في الجزائر" لكونه مصدر هام عايش فترة مهمة من التواجد العثماني في الجزائر 1816-1824 أخذنا منه أصول السكان والتركيبة السكانية لمجتمع الريفي، كما اعتمدنا الأغا بن عودة المزاريب " طلوع السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا " استفدنا منه من خلال التركيبة السكانية والدور السياسي لمجتمع الريف بالجزائر، حمدان خوجة المرآة " الذي عايش نهاية الحكم العثماني بالجزائر وبداية الاحتلال الفرنسي.

المراجع:

ناصر الدين سعيدوني " تاريخ الجزائر خ العهد العثماني والنظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني وورقات جزائرية ودراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر حيث ركز المؤلف في كتبه على فترة التواجد العثماني بالجزائر، كما اعتمدنا على أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي" حيث أفادنا في الدور الثقافي لمجتمع الريف بالجزائر خلال العهد العثماني، وأيضا أحمد توفيق المدني "هذه هي الجزائر «، وصالح عباد "الجزائر خلال الحكم التركي.(1514-1830)

الرسائل الجامعية:

بالبروات بن عتو المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني «، كمال بن صحراوي أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائر أواخر العهد العثماني".

المجلات:

تيتة ليلى تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن 19م"، مؤيد محمود حمد المشهداني " أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830).

الصعوبات:

أما عن الصعوبات في دراسة هذا الموضوع

- تشابه المادة العلمية في نقل بعض الأحداث التاريخية وعدم التفرقة بينها.
- عدم الاعتماد على المصادر والمراجع الأجنبية وهذا لعدم تمكننا من اللغة الذي وقف حاجزا على التعمق أكثر في هذا الموضوع.

الفصل التمهيدي

لمحة عامة عن البايلك والريف

المبحث الأول: بايلك الشرق دراسة جغرافية بشرية وإدارية

استكملت الجزائر مع نهاية القرن العاشر للهجرة وبداية القرن الحادي عشر للهجرة نهاية القرن السادس عشر ميلادي وبداية القرن والسابع عشر ميلادي، بناء مؤسساتها السياسية والاقتصادية، حيث كان لتبعيتها للخلافة العثماني دور بارز في تحقيق وحدتها السياسية[1] والإقليمية[2] ورسم معالمها الجغرافية.

تم تقسيمها إلى أربع مناطق؛ دار السلطان، بايلك البيطري، وبأيلك الغرب، وبأيلك الشرق، حيث مثل هذا الأخير أهم أقاليم لكونه أوسع المناطق جغرافية وأكثرهم سكانا خلال هذه الفترة، مما يدفعنا إلى التساؤل عن الحدود الجغرافية للمنطقة الشرقية، وما مميزات تركيبتها البشرية، وكيف كان يتم تسيير شؤون البايلك؟

مصطلح البايلك: البايلك مصطلح تركي قديم أخذه الأتراك عن المغول والسلاجقة، وأول من تولى إمارة البايلك عند الأتراك هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية وذلك سنة 1280م[3].

ومصطلح بايلك أصله بكلك وهو مشكّل من مقطعين بك ولك[4]، فأما بيك و تلفظ باي في الأصل فهو لقب أبناء السلاطين الحائزين على لقب الباشوية وذريتهم، ثم استعمل لقباً لمعظم كبار الموظفين والقادة الذين يكلّفون بإدارة الولايات ويسمون وزراء الخارج.

أولا: الحدود الجغرافية لبايلك الشرق

شمل الشرق الجزائري الرقعة الواسعة التي مثلت بايلك الشرق أو بايلك قسنطينة خلال الوجود

---

[1] لاطلاع على خريطة تمثل حدود الجزائر خلال العهد العثماني. ينظر : الملحق رقم (01)

[2] الإقليم: إن كلمة إقليم محرفة عن الكلمة اليونانية (Klimd) أما الجغرافيون المسلمون فالإقليم عندهم يسمى إقليم لأنه مقلوم من الأرض التي تتاخم أي مقطوع والقلم هو القطع في أصل اللغة، ينظر : محمد محمود محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخرجي للنشر والتوزيع، الرياض، ط02، 1996، صص:161-162.

[3] عبد الرحيم بنحادة ، العثمانيون المؤسسات الاقتصاد والثقافة ، ، اتصالات سبو، الدار البيضاء، 2008، ص 313

[4] خليفة حماش أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية"، ضمن كتاب تحية للأستاذ خليل الساحلي أوغلو، إشراف د. عبد الجليل التميمي، ج 1 ،زغوان، منشورات مؤسسة التميميوتقدير للبحث العلمي والمعلومات 1997 ، ص 141.

العثماني بالجزائر،[1] وهي من أعظم المقاطعات الجزائرية إذ امتد ساحلها الصخري من (بجاية إلى عنابة)[2]، أما حدودها الجغرافية،[3] فتتمثل في:

1. **الشمال:** يحده شمالا البحر الأبيض المتوسط من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية.
2. **الجنوب:** يحده الصحراء الكبرى الغير مأهولة جنوب واحات وادي سوف وتوقرت وورقلة وميزاب.[4]
3. **الشرق:** تحده الحدود التونسية ابتداء من وادي سوف ومرورا بتبسة الواقعة غرب الكاف وصولا عند طبرقة.
4. **الغرب:** تمتد حدودها الغربية من جبال البيبان وقرى بني، منصور، ومن الجنوب الغربي القرى الصغيرة لسيدي هجرس وسيدي عيسى التي تفصله عن بايلك التيطري.[5]

قسنطينة مركز الحكم في بايلك الشرق: قسنطينة[6] مدينة عتيقة كبيرة وممتدة،[7] ورد عليها عدة

---

[1] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والغرب دار الهدى ،الجزائر، ج 01، د.ط، 2009، ص: 512.

[2] أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري، عالم المعرفة الجزائر، مج9، د.ط، 2010، ص: 136.

[3] للاطلاع على خريطة تمثل الحدود الجغرافية لبايلك الشرق. ينظر : الملحق رقم (02)

[4] محمد صالح العنتري، فريدة منسية في حالة دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، مر وتح يحي بوعزيز، دار هومة ،الجزائر، ،د.ط، 2007، ص ص : 28–29

[5]. Vaysettes, histoire de derniers Beys de Constantine, R.AF, V:03, 1858, A.Jourdan Libraire, Algérie, p: 117

[6] قسنطينة : بضم القاف، وفتح السين، ثم نون وكسر الطاء، وياء مثناة من تحت ونون أخرى بعد ياء خفيفة وهاء ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان دار ،صادر ،بيروت مج04 د.ط، 1977 ، ص : 349. وقد أطلقت تسمية قسنطينة على المنطقة الشرقية عامة، فنجد في بعض المراسلات مصطلح ولاية قسنطينة" أو "الولاية الشرقية ومحروسة قسنطينة أو المحلة المنصورة" . ينظر : ملف 1641 ، رسالة رقم 04 المؤرخة في 1745 ورسالة رقم 26 د.ت. ورسالة 32 المؤرخة في 1177هـ / 29 ماي 1764م. وللاطلاع على خريطة تمثل حدود قسنطينة خلال الفترة المدروسة ينظر الملحق رقم (15)

[7] مارمول كربخال إفريقيا تر محمد حجي ،وآخرون، دار المعرفة ، الرباط، ج 03 ، د.ط، 1984م، ص: 11.

تسميات منها سيرتا، قرطة التي، بلد الهواء أو بلدة الهوى مستعمرة سيتوس الحصن الإفريقي.[1] من بين أقدم هذه التسميات سيرتا وهو اسم كنعاني فينيقي، ثم أصبحت سيرتا مستعمرة رومانية[2]، وأعاد الإمبراطور قسطنطين بناءها لتحمل اسمه بعد ذلك.[3] وتتميز مدينة قسنطينة ذات حصانة ومنعة[4]، فهي واقعة على جبل مرتفع[5]، بها نهر يصب في خندق وسمع لذلك دوي لشدة ارتفاعها عن خندقها[6]، وهي محاطة من جهة الجنوب بصخور عالية، أما في جانبها الشمالي فلها أسوار في غاية القوة كما أن اجتيازها لا يمكن أن يحصل إلا من طريقين صغيرين ضيقين أحدهما إلى جهة الشرق والآخر إلى جهة الغرب.[7]

وعن حدودها الجغرافية: فيحدها شمالا البحر، وشرقا إقليم تونس،[8] وغربا الواد الذي يعرف بواد بني منصور وبني عباس وعن الجنوب فيحدها الصحراء ويلحق به مدينة ورقلة.[9]

ثانيا: التركيبة البشرية لبايلك الشرق

---

[1] سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، بإشراف الربعي بن سلامة، قسنطينة، سنطينة، 2005/2006 ، ص : 12

[2] الحسن الوزان وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج02، ط02، 1983م، ص: 56.

[3] A.De Fontaine de Resbecqu, Alger et les Côte d'Afrique, chez Gaume Frères Librairie, 1832, p-p: 174-175.

[4] أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص: 63.

[5] فندلين شولوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832م – 1837م ، تر وتق: أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1980م، ص: 73.

[6] أبو الفداء، تقويم البلدان صححه مال كوكين ،دبسلان دار ،صادر، بيروت، د.ط، 1830، ص: 139. ينظر : كذلك ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 349 ، ومارمول كرخال المصدر السابق، ص: 11.

[7] الحسن الوزان المصدر السابق، ص: 56.

[8] Thomase Show, Voyage dans la Régence d'Alger, chez Marlin, Paris, 1830, p: 325.

[9] محمد المهدي بن شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، ط01، 1980م، ص: 088.

يمثل سكان البايلك خليط يتكون من عدة أجناس أهمها: البربر العرب والأتراك[1].

1. البربر: يختلفون عن باقي السكان ليس من حيث اللغة فقط، وإنما أيضا من حيث عاداته وأسلوب المعيشة، وهم يعتبرون من سكان الأصليين.[2]

2. العرب: كانوا يتكونون من قسمين العرب، الشاوية،[3] فأما العرب فهم الذين أطلق عليهم تسمية القبائل العربية، في حين اشتمل الفرع الثاني على عنصر الشاوية، وأطلق عليهم القبائل المستعربة.

الأتراك: نعني بالأتراك أفراد القوات العثمانية الذين سيطروا على مدينة قسنطينة، ثم استقروا بها كحاميات عسكرية قبل أن يتحولوا إلى العمل السياسي والإداري، وقد استقر الأتراك العثمانيون منذ مجيئهم إلى الجزائر في المدن أكثر من الأوطان[4] لاعتبارات عديدة أهمها وجود السلطة المركزية بالمدينة.[5]

لقد شمل بايلك قسنطينة العديد من القبائل بفروعها المتشعبة نذكر منهم:

أولاد دراج الشراقة، قبائل النمامشة أولاد يحي بن طالب وقبائل الحراكتة.[6]

4. الجاليات الأجنبية:

لم يقتصر سكان قسنطينة على ما ذكرنا سابقا، فقد كانت هذه المدينة قبلة للعديد من العناصر

---

[1] فندلين شولوصر، المصدر السابق، ص: 73.

[2] دوبالي خديجة رسائل أحمد باي إلى حسين ،باشا 1240هـ /1245هـ (1826م/1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بن نعيمة عبد المجيد ،وهران 2005/2006، ص: 236

[3] **الشاوية:** يعود نسب الشاوية إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ينظر : ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 2000، ص: 150.

[4] لم يكن مصطلح الريف متداولا على العهد العثماني وإنما ما تم تداوله هو مصطلح الأوطان. ينظر : ملف 1642 رسالة رقم 03.

[5] جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، بإشراف كمال فيلالي، قسنطينة 2007/2008، ص: 192.

[6] بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830-1848، دار الحكمة، الجزائر ، د.ط، 2010، ص ص : 36-39

الأجنبية أهمها اليهود والرعايا الفرنسيين والتونسيين الذين استقروا في البايلك قصد التجارة أو لأمر آخر.[1]

تضاربت الآراء حول عدد سكان بايلك الشرق أواخر العهد العثماني، فهناك دراسة قدرت تعداده سنة 1830م بحوالي 20.000 نسمة، ودراسة لنفس السنة قدرته بحوالي 4.000 نسمة.[2]

وإحصائيات أخرى قدرت سكان بايلك الشرق بحوالي 120.000 نسمة وأخرى حوالي 30.000 نسمة.[3]

وبما أنا الشرق الجزائري كان أكثر كثافة من باقي الجهات الأخرى فإن عدد سكانه بصفة حمدان خوجة[4] الذي قدر عدد سكان الجزائر بحوالي عشرة ملايين نسمة، تقريبية، كان حسب حوالي 6.5 مليون نسمة.[5]

التنظيم الإداري لبايلك الشرق:

يمثل التنظيم السياسي أهم مظاهر سيادة الإيالة[6]، لذلك عمد العثمانيون منذ دخولهم إلى الجزائر إلى تنظيم الأمور السياسية لضمان استقرار الأوضاع وبسط النفوذ، ومن أجل تسهيل إدارة البلاد

---

[1] دوبالي خديجة، المرجع السابق، ص: 238.

[2] المهدي وعبدلي وناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط، 1984م، ص: 92.

[3] دوبالي خديجة المرجع السابق، ص: 236.

[4] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، مرجع سابق، ص: 536.

[5] هذا العدد مبالغ فيه ولعل عدم الدقة والتضارب في تعداد سكان بايلك الشرق عموما وسكان الجزائر على وجه الخصوص يعود لعدم اهتمام الإدارة العثمانية بالجزائر بإحصاء النمو الديمغرافي وتدوينه في سجلات خاصة.

[6] الإيالة: وتعني ولاية وهي تعبير يطلق على البك بكوية منذ القرن 16 . ينظر خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، المدار الإسلامي، بيروت، ط01، 2002، ص: 336.

وهي أكبر وحدة إدارية عسكرية في الخلافة العثمانية يحكمها الباي لارباي، وفي القرن 19م ثم إعادة تشكيل الإيالات لتصبح ولاية يحكمها الوالي ينظر : نبيل اكسندروفنا دولبينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية، تر: أنور محمد إبراهيم الهيئة العامة لشؤون المطابع القاهرة، د.ط، 1999، ص: 174.

على أكمل وجه قسمت الإيالة الجزائرية إلى أربع بايلكات كان أهمها بايلك الشرق. إذن كيف تم الوجود العثماني في بايلك الشرق؟ بماذا تميز التنظيم الإداري في بايلك الشرق؟ ومن هم أهم البايات الذين توالوا على حكمه؟

الوجود العثماني في إقليم قسنطينة:

بعد إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية[1] تولى خير الدين[2] أمور الحكم فكان أول ما قام به تنظيم الإدارة فاتخذ مدينة الجزائر مقرا له وعين أحمد بن القاضي نائبا له في الناحية الشرقية متخذا دلس مركزا له، أما الناحية الغربية فقد تولى تسييرها المدعو محمد بن علي ومركزها كان شرشال.[3] إلا أنه في عام 927هـ / 1520م نشبت مشاكل بين خير الدين وأحمد بن القاضي فاضطر إلى الانسحاب من الجزائر ليعود إلى جيجل.[4]

اهتم خير الدين بالمراكز العمرانية كمواطن استراتيجية ليركز سلطته ويوسعها، وعلى هذا الأساس دخل مدينة القل عام 928هـ / 1521 ثم مدينتي عنابة وقسنطينة في السنة الموالية 929هـ/1522م، ودعم هذه المدن بحاميات وأعطى الحرية لكل قائد في انتهاج السياسة التي يراها ملائمة اتجاه السكان، وحثهم على تحسين علاقاتهم معهم.[5]

---

[1] محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن رقية التلمساني الجديري الزهرة النائرة فيما جرى بالجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تح سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 03، 1967، صص: 13-14.

[2] خير الدين من أبرز شخصيات التاريخ العثماني، ولد رفقة إخوته عروج واسحاق والياس بجزيرة مدلي اليونانية، اليونانية، توفي في 04 جويلية 1546 ، ينظر: خير الدين مذكرات خير الدين بربروس تر محمد الدراج، الإمالة للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط01 ، 2010 ، ص، ص: 22، 214.

[3] أحمد بن القاضي: من أعيان بيوتات الجزائر الساكنة ناحية القبائل، ولأن خير الدين على تلك الناحية لكنه خرج عليه، ينظر: شوقي عطا الله الجمل المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط01، 1977م، ص: 98.

[4] عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر ، د.ط، 2007، ص : 202.

[5] عائشة غطاس وآخرون، المرجع نفسه، ص ص : 202-203.

لم تستقر الأمور إلا خلال الولاية الثالثة لحسن بن خير الدين[1] حيث قام بتقسيم الجزائر، إداريا إلى ثلاث أقسام يحمل كل منها اسم بايلك (بايلك الغرب بايلك التيطري)، على كل منها باستثناء قسنطينة فلم يتم تعيين باي[2] سنة 973هـ / 1565م، مع تعيين عليها إلا بعد سنتين أي 975هـ / 1567م.[3]

الجهاز الإداري في بايلك الشرق: انقسم الجهاز الإداري ببايلك الشرق إلى:

على مستوى المدن يتكون من:

1. **ديوان الأوجاق**[4]: يتألف من رجال المخزن المحيطين بالباي هؤلاء شاركوا في إدارة البايلك واتصلوا به بصفة مباشرة وهم:

أ.**الخليفة**[5]: المسؤول عن شؤون الأوطان، ويخضع له القياد وينظم عملية استخلاص الضرائب، ويتولى إخضاع السكان الحكومة البايلك، يذهب مرتين في السنة إلى دار السلطان لحمل الدنوش

---

[1] حسن بن خير الدين حسن هو الابن الوحيد لخير الدين، ولد بمدينة الجزائر وتربى بين أهلها وتثقف على يد علمائها، وكانت أمه سليلة إحدى أعرق أسرها، ينظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492م – 1792م ، دار البصائر ،الجزائر، ط01 ، 2007، ص: 301

[2] باي: من الألقاب التركية تطلق هذه الكلمة على صاحب الأمر في أي موقع كان ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية مر : عبد الرزاق محمد حنفي، مكتبة الملك فهد الرياض ، د.ط، 2000، ص: 63. وقد أطبق هذا اللقب على من تولى تسيير شؤون إحدى الأقاليم الثلاثة.

[3] محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص: 43.

[4] **الوجاق:** لفظ تركي معناه المكان المعد من الطين أو القرميد الذي تنفخ وتشعل فيه النار. ينظر : مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1996، ص: 53. وقد ورد هذا المصطلح في ملف 1642 ، الرسالة رقم 20 في ترتيبها العام بالمجموعة.

[5] وردت تسمية "الخليفة" في "مراسلات بايات قسنطينة وموظفي الباستيون. مثال على ذلك ينظر : ملف رقم 1641 رسالة رقم 90 المؤرخة في 05 أوت من سنة 1788م ، وفي ملف رقم 1642 ، رسالة رقم 07-04، في الترتيب العام للمجموعة.

إلى[1] الباشا[2] ، وذلك عند عدم ذهاب الباي بنفسه.

ب. **قائد الدار**[3] : وهو آغا[4] متقاعد ومكلف بالإدارة وشرطة المدينة، وبتموين رجال الميليشيا برواتبهم الشهرية، وتمتد مسؤوليته إلى القسم الأكبر من أملاك البايلك وعقاراته وإليه يعود أمر حفظ الأمن بالمدينة.

ج. **النقاد أو المقتصد:** المشرف على كل المصالح المالية والإنفاق وجمع المطالب المخزنية[5]على مستوى الأوطان، والرسوم في المدن وإعداد أموال الدنوش التي ترسل إلى دار السلطان.[6]

2. **الباش كاتب أو الكاتب العام:** المكلف بتحرير الرسائل، وختمها وكل ما تصل بالشؤون السياسية لبايلك كما كان يستقبل الرسائل الواردة على الباي ويحرر رسائل الموظفين العاملين على مستوى البايلك.

3. **شيخ المدينة ونقيب الأشراف:** ينظمان شؤون السكان ويحافظان على الأمن ويراقبان المياه والشرطة والمؤسسات العمومية.[7]

---

[1] **الدنوش:** هي الضرائب التي يحملها بايات البيالك إلى الخزينة العامة في دار السلطان وتتم كل ثلاث سنوات. ينظر: أحمد شريف الزهار ، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تح أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، 1980م، ص: 140.

[2] **الباشا:** كلمة معناها في الأصل قدم الملك أو الشاه، استخدمت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات وأخيرا أصبحت أعلى أعلى لقب تشريعي في الدولة، ينظر : أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، ط02، 1993م، ص: 232.

[3] نجد كذلك في ملف رقم 1641 ورود للقب القائد، ينظر : رسالة رقم 07 المؤرخة في 26 جانفي 1747م، وكذلك ورد هذا المصطلح في ملف رقم 1642 ، رسالة رقم 27 في ترتيبها العام للمجموعة.

[4] الآغا اختلف في أصل الكلمة فقيل تركية المصدر ومعناه الكبر والتقدم في السن، وقيل أنها مصدر اللغة الفارسية الفارسية "أقا". ينظر : مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2000م، ص: 173.

[5] لم يتم تداول مصطلح الضرائب في الجزائر العثمانية، وإنما ما تم تداوله في مختلف الوثائق مصطلح "الرسوم" على مستوى المدن والمطالب المخزنية على مستوى الأوطان، ينظر : ملف رقم 1642، الرسالة رقم 22 في ترتيبها العام للمجموعة.

[6] محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص: 31.

[7] دوبالي خديجة المرجع السابق، ص: 32 . ينظر كذلك: Vayasettes, Op, cit, p-p: 112-113

إضافة إلى ذلك نذكر مجموعة من الموظفين الساهرين على خدمة قصر الباي منهم، قائد المقصورة باش، فراش باش، قهواجي قائد الدريبة.[1]

4. **على مستوى الأوطان:** أسندت مهمة تسيير هذا القسم إلى الأعراش والقبائل المخزنية القوية التي كانت تتشكل من مجموعات سكانية ذات صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية.[2]

توالى حكم إقليم بايلك الشرق خلال الوجود العثماني بالجزائر حوالي ست وأربعون[3]، كان أولهم رمضان تشولاق باي[4]، وقد برز بعد هذا الباي شخصيات قوية سيرت شؤون البايلك بحكمة وحنكة سياسية كبيرة أمثال هؤلاء نذكر صالح باي[5]، حسين باي زرق عينو[6] وعثمان باي[7]، وآخر هؤلاء

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص: 810.

[2] عميراوي أحمدة، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى الجزائر ، د.ط، 2005، ص: 23

[3] محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، صص: 240-241.

[4] رمضان تشولاق باي: أول بايات قسنطينة تولى حكم البايلك سنة 1567م عزل سنة 1574م، ينظر: المصدر نفسه، صص 44-45 ، ليعوض بجاقر باي، ينظر : ملف رقم 1642، وثيقة رقم 02

[5] صالح باي ولد سنة 1725 م، ينظر: أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، د.ط، ص: 270 . التحق باوجاق الجزائر وهو في 16 من عمره، انظم إلى إحدى المحلات العاملة بالشرق فتعرف على الباي أحمد القلي، عينه خليفة سنة 1765م ، ثم أصبح بايا على بايلك الشرق بعد موت هذا الأخير سنة 1771م توفي سنة 1792م . ينظر : ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية، مرجع سابق، صص: 124-126.

[6] حسين باي زرق عينو تولى حسين زرق عينو الحكم سنة 1754م ، وهو تركي الأصل تمتع بشجاعة وهيبته، شغل منصب خليفة على عهد الباي بوحنك، ينظر : دوبالي خديجة المرجع السابق، ص: 195.

[7] عثمان باي: هو ابن الباي محمد الكبير، عين بايا على بايلك الغرب عقب وفاة والده لمدة خمس سنوات، ثم عزل من منصبه ليعاد تعيينه بايا على قسنطينة سنة 1218هـ، توفي قتيلا بعد تمرد محمد بن الأحرش الدرقاوي، بقي بايا مدة 18 شهرا. ينظر : ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث الجزائر ، د.ط، 1973، ص: 64.

البايات أحمد باي الذي عينه الداي[1] حسين[2] لتولى إدارة الجهة الشرقية خاصة وأن الإيالة كانت تمر بمراحل حاسمة نتيجة تأزم الوضع ما بين الوجاق والحكومة الفرنسية.

يعتبر أحمد باي[3] على أشهر بايات قسنطينة فهو أحد أحفاد أحمد القلي[4] الذي كان بايا على قسنطينة.[5]

اتصف الحاج أحمد باي بالحنكة السياسية والمواقف البطولية وغيرته الدينية، وكرهه الشديد للأجانب وبنجاحه في كسب قلوب رعاياه ومهارته في تنظيم الجند، ووضع الخطط العسكرية، وهذه جميعا خصال تميز الحاكم القدير فمنذ أن تولى شؤون البايلك في عهد الداي حسين عمل على تنظيمه ونشر الأمن فيه. شهد الحاج أحمد باي الحملة الفرنسية على الجزائر، وقاد المقاومة

---

[1] الداي: كلمة تركية الأصل ولها عدة معاني (الخال الرجل المتوسط السن، المدافع، الرئيس، القائد). ينظر : حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تح وتق الطاهر العموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د.ط، ص: 25

[2] الداي حسين آخر دايات الجزائر تولى الحكم في الفترة الممتدة من 1818–1830. ينظر: عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص: 68 ، اشتهر بنصرة العدل والتدين وأعمال الخير والبر، ينظر : أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر ويليه كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، دون طبعة 2009 ، ص : 67 . ينظر كذلك: أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830م – 1855م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، د.ط، 1989م، ص: 73.

[3] تضاربت الآراء حول سنة مولده فهناك من يقول أنه ولد سنة 1786م ، وهناك من يقول عام 1780م، ينظر: ناصر ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات و آفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 2000، ص: 46. غير أن التاريخ الذي حوله إجماع هو سنة 1784م، ينظر : بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، صص: 58–59. شغل منصب خليفة سنة 1818م ثم عين بايا على إقليم قسنطينة 1826م. ينظر :

Mahfoud Khache, L'Algérie durant la période Otmane, Office des publications universitaire, Alger, 1998, p:155.

كان الحاج أحمد باي رجل حيويا ونشيطا، أشرف جده على نشأته وتكوينه لم يحظ بفرصة متابعة تعليمه، غير أن أداءه لفريضة الحج، وعلاقاته بالمشرق ومكوثه بمصر مدة طويلة أكسبته الكثير من المعارف والتجارب. ينظر : صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826–1850)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، د.ط، 1993م، ص: 20.

[4] جمال السويدي الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر، من القديم إلى الحديث، تر: فايزة بردوز، منشورات التل، التل، الجزائر، د.ط، ص: 09.

[5] بسام العسيلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830–1838، دار النفائس ، الجزائر، ج 01، د.ط، 1980، ص: 16.

في الجبهة الشرقية توفي في 30 أوت 1850م[1]، بعد أن قضى 63 سنة من عمره.[2]

عرفت المنطقة الشرقية في ظل الوجود العثماني بعض الاستقرار خاصة بعد القضاء على الخطر الحفصي الذي كان يهدد المنطقة الشرقية، فقد ارتسمت حدودها الجغرافية واتضحت معالمها وشكل سكانها هرما مميزا، خضعت لتنظيم الإداري ظل قائما بها إلى غاية نهاية الوجود العثماني فيها.

المبحث الثاني: الموقع الجغرافي لبايلك الغرب الجزائري

يعود تاريخ ظهور بايلك الغرب إلى النصف الأول من القرن 16م، وذلك من خلال حكم حسن بن خير الدين (15521540م) الذي يعتبر أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية في البايلك.[3]

ففي عام 1563م أصبحت عاصمة البايلك مازونة واختارها الباي ابن خديجة[4] للتحكم في قبائل المنطقة الغربية، وبذلك يعتبر الباي الأول لمازونة نظرا لعمله على إقامة تنظيم إداري بالبايلك[5].

قام الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي[6] بنقل عاصمة البايلك إلى قلعة.[7]

بني راشد، ثم إلى معسكر سنة 1703م، وهذا حتى يقترب أكثر من وهران 5. وخلال الفترة الممتدة ما بين 1733م إلى 1779م تولى أمور البايلك ثمان بايات، آخرهم الحاج خليل باي (1771-

---

[1] أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 01، ط03، 1990، ص: 352.

[2] بوضرساية بوعزة ، المرجع السابق، ص: 345

[3] محمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: وتق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 32.

[4] الباي ابن خديجة عينه الباي حسن بن خير الدين على مازونة سنة 1563، ينظر : نفسه، ص 32

[5] محمد بن يوسف الزياني : دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران تق وتع المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص254

[6] هو باي وهران 1708-1732م ، مؤسس مدينة معسكر ، ودفن بمستغانم حرر مدينة وهران من الاسبان في 1708 م، بعد قرنين من الاحتلال 1509-1708م، ينظر : سعاد العياشي، مرجع سابق، ص 14

[7] يحي بوعزيز مدينة وهران عبر التاريخ، ط2، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص 80.

1779)[1] ليتولى بعده الحكم محمد بن عثمان الكبير (1797-1779) 6 هذا الأخير الذي كتب على يده تحرير وهران نهائيا من الإسبان عام 1792م، ومنذ هذا التاريخ أصبحت وهران عاصمة بايلك الغرب الجزائري.[2]

امتد بايلك الغرب على مساحة جغرافية كبيرة من غرب الجزائر، ويمتد من واد ملوية غربا إلى حدود واد الشلف شرقا،[3] غير أن الزهار يذكر أن الناحية الغربية كلها كانت بيد باي وهران الذي له خليفة وقواد وأغوات، وحكمه ينتهي إلى بوحلوان وإلى عمالة باي التيطري.[4]

ومنهم من أعطاه حدود ما يعادل القطاع الوهراني حاليا وكانت حدوده كالآتي:

- غربا : المغرب الأقصى
- شرقا دار السلطان وبايلك التيطري
- شمالا: البحر المتوسط
- جنوبا الصحراء.[5]

سمح الامتداد الطبيعي لحدود بايلك الغرب إلى انفتاحه شمالا على البحر المتوسط ما يزيد طوله عن مائة وسبعين كلم (170) كلم) واتصاله مع باقي مقاطعات الجزائر شرقا، ليزاحم الحدود المغربية غربا، هذه الأبعاد جعلت بعض المؤرخين يطلقون على البايلك تسمية الإيالة الغربية.

---

[1] محمد بن عثمان الكبير : يدعى الباي" "لكحل وذلك لسمرته ، كان الباي الأكثر نفوذا في بايلك الغرب، استطاع أن يوسع البايلك إلى مساحات كبيرة، وقد وفر الأمن لدرجة لا بأس بها في بايلك الغرب، قاد تحرير وهران من الاحتلال الاسباني الثاني، ينظر: هاشمي بن إبراهيم قبائل وهران والاحتلال الاسباني، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه، جامعة معسكر، 2020-2021، ص ص 138-139 ، يحي بوعزيز مدينة وهران .... مرجع سابق، ص 105.

[2] محمد بن يوسف الزياني، مصدر سابق، ص 191.

[3] كمال بن صحراوي ، اوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2012-2013، ص21.

[4] الحاج أحمد الشريف الزهار ، مذكرات الحاج أحمد الشريف نقيب أشراف الجزائر ، تح أحمد توفيق المدني، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص47

[5] كمال بن صحراوي، مرجع سابق، ص 20.

يحتوي بايلك الغرب على سهول عديدة، منها سهل الشلف يوجد به الطريق السلطاني الرابط بين البايلك ودار السلطان، وأيضا سهل أغريس، وسهل السرسو وسهل تلمسان وسعيدة وسيدي بلعباس،[1] ورغم احتواء بايلك الغرب على العديد من السهول إلا أن حمدان خوجة اعتبره أقل خصوبة وأقل اتساعا من مقاطعة قسنطينة.[2]

امتد بايلك الغرب على مساحة جغرافية كبيرة من غرب الجزائر، ويمتد من واد ملوية غربا إلى حدود واد الشلف شرقا،[3] غير أن الزهار يذكر أن الناحية الغربية كلها كانت بيد باي وهران الذي له خليفة وقواد وأغوات، وحكمه ينتهي إلى بوحلوان وإلى عمالة باي التيطري.[4]

ومنهم من أعطاه حدود ما يعادل القطاع الوهراني حاليا وكانت حدوده كالآتي:

- غربا : المغرب الأقصى
- شرقا دار السلطان وبايلك التيطري
- شمالا: البحر المتوسط
- جنوبا الصحراء.[5]

سمح الامتداد الطبيعي لحدود بايلك الغرب إلى انفتاحه شمالا على البحر المتوسط ما يزيد طوله عن مائة وسبعين كلم (170) كلم) واتصاله مع باقي مقاطعات الجزائر شرقا، ليزاحم الحدود المغربية غربا، هذه الأبعاد جعلت بعض المؤرخين يطلقون على البايلك تسمية الإيالة الغربية.

يحتوي بايلك الغرب على سهول عديدة، منها سهل الشلف يوجد به الطريق السلطاني الرابط بين

[1] سعاد العياشي، مرجع سابق، ص15.

[2] حمدان بن عثمان خوجة المرأة ، تح وتعر العربي الزبيري، ط1، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص 55.

[3] كمال بن صحراوي ، اوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2012-2013، ص21.

[4] الحاج أحمد الشريف الزهار ، مذكرات الحاج أحمد الشريف نقيب أشراف الجزائر ، تح أحمد توفيق المدني، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص47

[5] كمال بن صحراوي، مرجع سابق، ص 20.

البايلك ودار السلطان، وأيضا سهل أغريس، وسهل السرسو وسهل تلمسان وسعيدة وسيدي بلعباس،[1] ورغم احتواء بايلك الغرب على العديد من السهول إلا أن حمدان خوجة اعتبره أقل خصوبة وأقل اتساعا من مقاطعة قسنطينة.[2]

تتألف الجهة الغربية للجزائر من التضاريس الآتية:

أطلس التل الغربي: يتميز بانقسامه ونسبة جفافه به سهول وأحواض، تحيط به السلاسل الجبلية.[3]

– أشار الوزان إلى مدى خصوبة المنطقة الغربية قائلا: السهول الغربية من الساحل منتجة جدا، نظرا لخصوبتها ، نجد أيضا مرتفعات ،وهران الظهرة، وجبال مليانة المطلة على البحر المتوسط، وسهول منخفضة كسهل ،سبخة سهل وهران، سهل المقطع[4]، في حين تمتلك تلمسان ثروة مائية هائلة. ويتصف القطاع الوهراني بكونه منطقة سهلة الاختراق، رغم تنوع تضاريسه الصعبة التنقل إلا أنه يقف حاجزا أمام الحركة في مختلف الاتجاهات.[5]

المطلب الثاني: مدن بايلك الغرب

1 مازونة

أسست عام 567هـ / 1172م على يد بني منديل امراء مغراوة الذين اتخذوها قاعدة الإمارتهم[6] فقيل هي اسم لقبيلة ماسون Mazoun[7] وقيل ان اسمها مشتق من مزنة MAZNA، أو موزونة

---

[1] سعاد العياشي، مرجع سابق، ص15.

[2] حمدان بن عثمان خوجة المرأة ، تح وتعر العربي الزبيري، ط1، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص 55.

[3] سعاد العياشي، مرجع سابق، ص 15.

[4] حسن الوزان وصف افريقيا ، ج 2، تر محمد حجي ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، الحديث، جامعة وهران، 2013-2014، ص 17.

[5] كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ ص30.

[6] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي...، مرجع سابق، ص 191.

[7] اسماعيل بركات دراسة وتحقيق الدرر المكنونة في نوازل مازونة، من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة ، 2009-2010، ص 124.

MOUZOUNA 2 وقد وصفها الحسن الوزان بأنها تشمل مساحة واسعة لكن دورها قبيحة بسبب التخريب الذي تعرضت له كثيرا ، تارة من قبل ملوك تونس وتارة من قبل الثوار وتارة أخرى من قبل الأعراب الذين يفرضون على أهلها الاتاوات حتى لم يبقى فيها كثير من الناس، وهم يزاولون النسيج ،والفلاحة وأراضيهم خصبة تعطي غلة حسنة.[1]

وقد مثلت مازونة مركزا هاما في المنطقة، حيث أن معظم قاطنيها كانوا ميسوري الحال، وهذا يظهر من خلال المساكن الجميلة والمزارع والبساتين، ومن التجارة التي كانت نشطة بها، حيث توحي معروضات سوقها الأسبوعية بأن التجار كانوا يتوافدون على المدينة من مختلف المناطق لتسويق منتوجاتهم، وهو ما يدل على المكانة التي حازتها المدينة في جهة الظهرة.[2]

وهران

هناك تفسيرات كثيرة لاسم وهران منها " أنه معرب عن الإسم البربري الزناتي إيران وهو جمع لكلمة "آر" بمعنى أسد ، وأصل التسمية حسب الاعتقاد السائد هو أن الأسود كانت كثيرة بالغابة المجاورة للمدينة فسميت باسمها، ثم طرأ تغيير على نطق الكلمة فصارت وهران بكسر الواو ثم وهران بفتحها.[3]

احتل الإسبان وهران بعدما احتلوا المرسى الكبير في ضواحيها عام 1505م وقد ظلوا بالمدينة حتى 04 رجب 1206 هـ – فبراير 1792م ، وهو تاريخ تحريرها من قبل الباي محمد بن عثمان الكبير.[4]

وخلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني صارت عامرة بسكان معسكر وبني ميزاب والأمازيغ

---

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 36.

[2] المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج1، دراسة وتحقيق قندوز ،ماحي، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 2012. 34-35.

[3] مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر، تح وتع رابح بونار ، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 06-07

[4] محمد بن ميمون ،الجزائري، مصدر سابق، ص 203

والمغاربة واليهود، ونظرا لموقعها الجغرافي ولاهتمام الباي بها احترف أهلها التجارة، حيث كانوا يدفعون للباي رسما قدره 5% من السلع التي يبيعها بدوره للسكان نقدا، أو مقابل الحبوب والمواشي كالأبقار والأغنام.[1]

ويوجد قريبا من وهران المرسى الكبير، وهو يقع إلى غربها على بعد بضعة كيلومترات، ويعرف بالكبير وقد وصفه الحسن الوزان فقال ما اظن أن في الدنيا، أكبر منه، يمكن أن ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية في مأمن من كل عاصفة واعصار.[2]

ويعتبر أهم ميناء على سواحل الجزائر خاصة بالنسبة للإسبان نظرا لوقوعه على بعد 27 مرحلة من اسبانيا، ولذلك عملوا على احتلاله لأنهم اعتبروه عشا خطيرا يلجأ إليه القراصنة.[3]

4. مستغانم:

مدينة ساحلية بين تنس وأرزيو وهي غرب الشلف قرابة 15 كلم من مصبه واختلف أصل تسميتها فقيل مشتى غانم، وقيل مرسى غانم، وقيل مسك الغنائم[4] ، وقد كانت ذات أعين وبساتين ومياه وكانت أرضها تصلح لزراعة القطن، وفي مدينة مستغانم ميناء في جميل تحميه قلعة حصينة تشرف أيضا على المدينة بهدف حمايتها.[5]

كما شهدت نشاطات في ميدان الفلاحة وتربية المواشي والصناعات التقليدية، وتمتعت بازدهار ثقافي ديني واسع بفضل زواياها ،ومساجدها على امتداد التاريخ الإسلامي الوسيط والحديث.[6]

5 تلمسان

جمع لكلمة تلمسين بكسر التاء وسكون اللام أصل كلمة تلمسان أمازيغي وهي لفظة وكسر الميم

---

[1] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص ص96-97.

[2] الحسن الوزان، مصدر سابق، ص 31.

[3] كمال بن صحراوي، مرجع سابق، ص 31.

[4] عبد الله حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ، ط 1 ، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص 100.

[5] كمال بن صحراوي، مرجع سابق، ص 31.

[6] يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 183.

ومعناها الينبوع، وبهذا فهي مدينة الينابيع.[1]

وقد ساعد وضعها الطبوغرافي في جعلها منطقة ثرية مزدهرة، خاصة وقد انشأت فيها معامل الصوف التي يصنع فيها نوع من الأقمشة العادية التي يستخدمها الجيش، ومحازم تنسج نسجا متينا وتباع في كامل أنحاء البلاد.[2]

لدار السلطان، وتحت حكم الباشا مباشرة ، ثم عادت من جديد إلى بايلك الغرب أوائل القرن 19م ليضمها الاستعمار بعد ذلك إلى عمالة الجزائر.[3]

وتبعد ملیانة بأزيد من 100 كلم عن مدينة الجزائر، وهي تقع في سفح جبل زكار المعروف بمناجمه، أما مناخها فهو صحي، وأرضها خصبة للغاية [4]، وأما سكانها فعنيدون يمارسون الفلاحة ولا يعرفون من الصناعة غير تجفيف الفواكه وصناعة نوع من المعجون من عصير العنب والذي يمكن الاحتفاظ به طوال السنة.[5]

8 ندرومة:

ذكر الحسن الوزان أن الرومان بنوها على بقعة واسعة في سهل ويمر بها نهر قليل الأهمية، وجعلوها بهذا ندا لمدينة روما ، وبذلك أخذت اسمها من كلمتين ند بمعنى المثيل وروما المدينة، غير أن المترجمين علقا على هذا بالتأكيد على عدم وجود أية شواهد على ما قاله الوزان، مؤكدين أن تسمية ندرومة كانت نسبة إلى قبيلة كومية قديمة سكنت المنطقة.[6]

---

[1] ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلسمان تق عبد الرحمان طالب، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص 09.

[2] حمدان خوجة ، مصدر سابق، ص 95

[3] ودان بوغفالة، الأوقاف بالناحية الوهرانية، أوقاف ملیانة نموذجا، دراسة انسانية، عدد خاص، ماي 2001، ص220

[4] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث ،الجزائر، المدية، ملیانة، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ، ص 298.

[5] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 94.

[6] الحسن الوزان، مصدر سابق، ص 13.

وتعتبر ندرومة من المدن العتيقة في إقليم تلمسان، وهي تقع في سفح جبل طروادة غير بعيد عن ميناء مدينة الغزوات، وقد استقطبت عددا من العلماء من المغرب والأندلس، كما أنجبت الكثير من طلبة العلم والمثقفين، وفيها مسجد الجامع، الذي أقامه المرابطون التربيعة.[1]

كان سكان ندرومة فلاحين وصناعا وتجارا في ذات الوقت وقد امتدت علاقاتهم التجارية حتى فاس وطنجة، أما أراضيهم فلم تكن لتكفيهم لولا ممارستهم لكثير من الصناعات المتطورة كغزل الصوف ونسج الحياك وصناعة الفخار وقد استحوذت الأخيرة على 17 ورشة.[2]

هنين

كانت مدينة منيعة فيها البساتين وضروب الثمر، وبينها وبين ندرومة جيل تاجرة، كان حولها سور متقن وبها أسواق بيع وشراء، غير أنها كانت في أواخر القرن 16 حسب بعض الرحالة خربة حيث لم يبقى منها إلا سورها ومسجدها .[3]

وميناء هنين صغير محروس ببرجين، غير أنه هام حيث تقصده سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان.[4]

[1] يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، مرجع سابق، ص177.

[2] كمال بن صحراوي، مرجع سابق، ص 38.

[3] مولاي بلحميسي، الثورة على الأتراك في الجزائر ، شواهد مستقاة من وثائق اسبانية لم تنتشر الثقافة، 1978، ص 45.

[4] عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، ط1، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 67.

المبحث الثالث: معطيات أولية حول الريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني.

يمثل الريف، الواقع المهيمن في الجزائر العثمانية، إذ لم يكن سكان المدن باختلاف أحجامها يمثلون سوى خمسة إلى عشرة في المائة من مجموع السكان وأمام هذا المعطى، حاول المنظرون الاستعماريون الفرنسيون تبرير احتلالهم للجزائر، بإضفاء البعد الحضاري لحملتهم العسكرية، ويمكن الاستدلال على ذلك بما كتبه الضابط الفرنسي استرهازي Esterhazy أن الجزائر بلد بحاجة إلى الحضارة فتجمعاته البشرية متحركة لا بد من تثبيتها، وأن القبائل الجزائرية لم تجد القوة العسكرية التي تحميها.

وقد نتساءل هل كان تسعون في المائة من السكان الجزائريين رحل والبقية مستقرون خلال العهد العثماني؟ وللإجابة على ذلك تطلب منا البحث عن صورة الريف في الجزائر قبل حلول الاستدمار الفرنسي في المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وتوصلنا إلى تحصيل معلومات وأفكار تدحض مزاعم المدرسة الاستعمارية الفرنسية وتبطل سمومها التي تسربت إلى تاريخنا وأجيال الجزائر المتعاقبة، وبيان ذلك كالآتي:

1. الفرق بين البادية والريف في الجزائر العثمانية.

أ. المقصود بالبادية.

حدد الدكتور محمد السويدي نقلا عن الدكتور محى الدين ،صابر، المفهوم العام للبداوة الرعوية بأنها " نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحية، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية وعلى مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة.[1]

وقد ربط كثير من الباحثين بين البداوة كظاهرة رعوية وبين الصحراء أو البيداء، أي أن البادية

[1] شالر وليام. **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر**1816-1824 تعريب وتعليق وتقديم: اسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982

هي الصحراء، ومن ينسب إليها فهو بدوي، ومن أقام فيها فهو مبتدي، والإطار العام الذي يشمل الإقامة في الصحراء والتعود على العيش فيها هو البداوة. فالبدو هم أصحاب النجمة وارتياد الكلأ لماشيتهم وإبلهم وتتبع مصادر المياه.

إن الذي يحدد التنقلات السنوية والموسمية للبدو هو حاجات قطعانهم للغذاء، حيث يرحلون داخل الصحراء أثناء فصل الشتاء الممطر، ويستقرون قريبا من مصادر المياه، وعند أطراف الصحاري، خلال شهور الصيف الجافة. ويمكن تصنيف البدو الرعاة إلى :

بدو الإبل: ويمثلون البداوة الخالصة التي تسود في قلب الصحاري، ودليلها هو الجمل، هؤلاء يسمون في الجزائر بالتوارق الذين يرتحلون في فترة الجفاف نحو المراعي الخصبة في مالي والنيجر تاركين وراءهم الخيام وقطعان الماعز في الهقار.

بدو الشاة أو الضأن والبقر: ويمثلها الشاوية الذين لا يتوغلون داخل الصحراء لعدم قدرة الشاة والبقر على التوغل وعدم احتمالهم للجفاف الشديد، وبذلك يكتفون بأطراف الصحراء، وبداوتهم عندئذ جزئية. هؤلاء يسمون بدو شمال الصحراء الجزائرية وتحركهم وتنقلهم جماعيا أي شاملا للبشر والحيوان والخيام دون ترك أي شيء وراءهم.

ومن خصائص الحياة البدوية الرعوية:

- البساطة في المسكن والملبس والمعدات لأن الترحال ومواجهة الظروف الصعبة والمتغيرة، يفرض خفة الحركة التي لا تتأتى إلا بالبساطة.
- عدم الاستقرار في مكان واحد لفترة طويلة.
- التجمع القبيلي أي أن الظروف المعيشية الصعبة تفرض على البدو الرعاة التوحد في شكل تجمع قبيلي قد يكبر بتحالفاته مع قبائل أخرى.

والبداوة الرعوية أو الترحال ليست هجرة لأن البدو لا يحتكون ثقافيا بتجمعات أخرى ويقع الأخذ

والعطاء، ما دامت القبيلة البدوية ترتحل ببشرها وبنظمها وبأعرافها.[1]

وقد يسكن بعضهم الخيام ويبني بعضهم الآخر بيوتا من الطين والحجارة (القرابي). وقال هاينريش أن كلمة البدو عبارة شرقية تخلعها على نفسها القبائل الصحراوية في شبه الجزيرة العربية ومصر والجزائري لا يقبل كلمة بدوي ولا يريد أن ينعت بالبدوي ويعتبرها شتيمة الكاتب.[2]

لذا نلاحظ أن المؤرخين الجزائريين قد ضبطوا لفظة البدو ورأوا أنها تنطبق على سكان العمق الصحراوي وتحديدا التوارق وبشأنهم ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله نقلا عن رحلة الأغوطي[3] مقطعا فقال : " والطوارق أناس أشداء... وهم يستعملون الإبل للركوب، وطعامهم من اللحم والحليب فقط، وليس لهم حبوب إطلاقا، وهم يرتدون الساي القطني الأسود وسراويلهم تشبه سراويل المسيحيين والطوارق يصلون ،واقفين وهم يتلثمون بلثام من القطن، ولا يأكلون أو يشربون بحضور الناس ويقومون بغزوات أو جولات في السودان ويعودون بعدها بالعبيد وغيرهم من البضائع وهذا بيان كامل ومفصل عن الطوارق.[4]

ب. المقصود بالريف:

وزع المؤرخون المناطق الريفية إلى فحوص المدن وقرى الأوطان[5] جبلية كانت أو سهلية، تلية أو سهبية، وإذا كانت الفحوص هي الضواحي فإن الأوطان هي المناطق الريفية الواقعة ما بعد الفحوص، وقد وردت كلمة الأوطان في مخطوط عربي، جاء فيه: " ... يرسل الشواش والاصبايحية

[1] Esquer , Gabriel. **Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par le chef de bataillon Boutin 1808, suivie des mémoires sur Alger par le consul De Kercy 1791, et Dubois Thainville 1809**. Paris, 1927. pp.58-63.

[2] Ibid, P73.

[3] أبو القاسم، سعد الله.تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ، الجزء الأول، ص 138

[4] المرجع نفسه ص222.

[5] كان الانتماء الأناضولي هو الطاغي على طائفة الأتراك.

(الصبايحية) لكل الأوطان سواء كان جبالا أو وطى (وطاء) ....[1]

وهكذا يغطي الريف المناطق التلية والسهبية للبلاد الجزائرية، فالريف التلي وهو الغالب، يمارس أهله بعض الحرف المنزلية الاستهلاكية وفلاحة الأرض وتربية الماشية، ويسكنون القرابي أو الأكواخ في المناطق الجبلية والقرى الطينية والخيام في السهول أما الريف شبه الصحراوي فيقتصر على تربية المواشي ،فقط ويسكن أهله وهم قلة القرابي والقرى الطينية أو القصور.

وعليه، سكان الريف الجزائري في العهد العثماني، صنفان:

صنف مستقر لمدة معينة. وبالتالي يجمع هذا الصنف بين الاستقرار والترحال، وعادة هم سكان الخيام.

وصنف مستقر على الدوام. وعادة هم سكان الأكواخ والقرى الطينية.

وهكذا يظهر لنا جليا الفرق بين البدو والريف، وإذا كان البدو هم ،رحل سمتهم عدم الاستقرار، فإن سكان الريف الذين يتجمعون في شكل قرى قبيلية في الشمال والجنوب الجزائري هم حضر يشتركون مع سكان المدن في الاستقرار ويختلفون عنهم في النمط المعيشي والتنظيم والتخطيط العمراني، وبالتالي يمكن اعتبار هذه التجمعات الريفية التي انتشرت عبر ربوع الجزائر العثمانية مراكز حضرية تعيش مرحلة انتقالية لبلوغ مرحلة التمدن، وعندها نلاحظ أن مزاعم الاستعماريين الفرنسيين التي أضفت البداوة والترحال على أغلب جهات الجزائر، لا أساس لها من الصحة.

2. الأشكال العمرانية بريف الجزائر العثمانية

انتشرت بالجزائر العثمانية تجمعات ريفية قروية بالمناطق الجبلية التلية والهضابية مثل قرى بلاد القبائل والأوراس، وبالمناطق الصحراوية، وتتسم هندسة هذه القرى بمنازلها المبنية بالحجر والطوب المطلاة بالطين، وهي متماسكة مع بعضها البعض ومتراصة بدون طوابق، ولعل أجمل بناية

[1] معاشي، ،، جميلة." اندماج الانكشارية في المجتمع القسنطيني من خلال سجلات الزواج والطلاق بأرشيف ولاية قسنطينة." أعمال الملتقى الدولي حول التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري بقسنطينة 2001، صص 204 – 205.

بالقرية هي المسجد، وقد لا نؤيد الكتاب الفرنسيين الذين يطرحون فكرة أن القرى الريفية عادة قرى البربر بل قد نجد القرى على ما أعتقد في كامل القطر الجزائري، يسكنها البربري والعربي على السواء، وهو ما سنوضحه كالآتي:

القرى التلية

تنتشر القرى الريفية بالمرتفعات الجبلية، وركزت الكتابات التاريخية على قرى اقليم سيباو ،الحصين و ذكرت الغرض من بناء هذه القرى فوق قمم الجبال ومفاده أن السكان الأمازيغ في الجزائر منذ العصور القديمة كانوا عرضة لغارات العدو ولم يجدوا بدا سوى اتخاذ الجبال مسكنا لهم للتمكن من التصدي للهجمات،[1] لذلك لقي الأتراك صعوبة كبيرة في إحكام سيطرتهم على اقليم سيباو، حتى أنه عينت به قيادة خاصة به، ولم يحل السلام بهذا الاقليم إلا بعد عقد الاتفاقيات بين أعيان الاقليم والسلطة التركية العثمانية، وما يدعم ما هذا الطرح كتبه شلوصر: " فالجبال ليست تابعة للبايليك... ويخشى الباي الاصطدام بالقبائل ولا يحارب العرب إلا إذا تأكد من حيادهم.[2]

وبغية تأكيد الطابع القروي لاقليم سيباو، نلاحظ أن كاتب كعبة الطائفين محمد بن سليمان الجزولي قد وصف بلاد زواوة أنها قرى كثيرة في جبل شرقي الجزائر. [3]

وذكر الرحالة الألماني هاينريش أن سكان منطقة القبائل الكبرى يسكنون بيوتا مبنية بالحجارة.[4] ويتوسط المنزل المطبخ الذي يجتمع فيه أفراد الأسرة لتناول الغذاء وهم جلوس على الأرض، ويتجاذبون أطراف الحديث فيما بينهم ويخزن القبائل في قاعة خاصة، مواد غذائية سنوية مثل

---

[1] أمين محمد "ملاحظات حول سياسة التهميش ووضع المهمشين بولاية الجزائر العثمانية". المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية العدد 25 ،زغوان ،تونس، 2002، ص ص 24-26.

[2] اليطغان . هو السيف الحاد من الجهتين.

[3] غطاس، عائشة. الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830. مقاربة اجتماعية واقتصادية. أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر ، 2000-2001. ج1، ص 108.

[4] أمين، محمد. "ملاحظات حول سياسة التهميش ووضع المهمشين بولاية الجزائر العثمانية". المجلة التاريخية **العربية للدراسات العثمانية**، العدد 25 ، زغوان، تونس، 2002 ، ص ص 24 26.

الشعير والتين والزيت في قلل أو جراع فخارية تصل حمولتها إلى عدة هيكتولترات. وتقع خلف هذه القاعة قاعة أخرى مخصصة لمبيت أبقار الحرث أي غير الحلوب، والبغال والماعز والدواجن، أما الأغنام فتبيت مع الأسرة، والتي يتحدد عددها من طرف مجلس الجماعة فكان كل منزل قروي بجرجرة عليه أن لا تتعدى ملكيته للأغنام أربعة رؤوس نظرا لضيق المساحة الرعوية في المناطق الجبلية.[1]

القرى الصحراوية :

ورد في الكتابات التاريخية أن قرى الصحراء الجزائرية كلها مبنية بالطوب، ومنازلها ذات طابق أرضي ولا تعلو عليها سوى المنارة والقلعة، وكل قرية تسمى واحة تعج بتمرها وآبارها المائية، وبدكاكينها المصطفة، وكثير من الكتابات تنعتها بالمدن الصغيرة لكن ما يجعلها تختلف عن المدينة هو:

- ليس للقرية الصحراوية فحص ريفي.
- القرية الصحراوية ثابتة في بنيتها العمرانية عكس المدينة.
- يسير القرية الصحراوية الجماعة أو القبيلة القوية عكس المدينة التي يسيرها موظف حكومي.
- تختلف القرية الصحراوية عن المدينة من حيث الوزن البشري.
- لا تؤثر القرية الصحراوية في فضائها الخارجي عكس المدينة.[2]

وعليه، تنتسب القرى الصحراوية إلى قبائل، وقد تجمع بين الاستقرار والترحال خلال السنة، فقد كتب لامبير أن قبائل الواحات الصحراوية تتجه في السداسي الأول للسنة بماشيتها نحو السهوب، وفي السداسي الثاني فترة الجفاف تتجه نحو التل بحثا عن الكلأ والقمح والمروج[3] وقد كتب

---

[1] خوجة، حمدان بن عثمان. **المرآة**. تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة ا لوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 02، 1982، ص 24-26.

[2] المرجع نفسه، ص119.

[3] أبو القاسم، سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي... ج1، المرجع السابق، ص 105.

الأغواطي عن واحات الصحراء الجزائرية وقراها وسكانها وثرواتها، فذكر:

واحة توات: وتضم القرى التالية:

تميمون: وقال عنها الأغواطي أنها بلدة كبيرة، ليس لها أسوار تحميها لأن منازلها جميعا متراصة، وهي مبنية بالطين أو الطوب ولها أربعة مساجد وسكانها ينطقون العربية، بعضهم ذو بشرة بيضاء، والبعض الآخر بشرتهم حمراء، وآخرون سود يلبسون الثياب الصوفية والقطنية مع ساي أسود اللون، وقال عنهم الرحالة أهم مسلمون صادقون.

وتكمن ثروتها في التمر وثمار أخرى، والمياه الغزيرة التي تصل إلى القرية بواسطة الأنابيب، والشب الأحمر والأغنام تشبه أغنام السودان من حيث الشعر الأسود والذنب الطويل، والخيول الكثيرة، وتراب الذهب الذي يباع في سوقها الكبير بوزن المثقال بالأوقية، وأخيرا العبيد حيث يوجد سوق خاص لبيع العبيد.[1]

أولف : وكتب عنها الأغواطي في رحلته أنها بلدة محاطة بأسوار مبنية بالطين، وسلطانها له جنود تضرب بين أيديهم الطبول، وله سلطة توقيع العقوبة والسجن، وهو يمتلك الخيول والرجال، ولكن ليس له خزانة دراهم ويفرض سلطته على القرى المجاورة مثل قرية "طيت" وقرية "وات الحناء". وتزخر بلدة أولف بالماء الوافر والتمر، أما سكانها فيظهر أنهم يتكلمون البربرية، ولهم عدد كبير العبيد .[2]

قرية توات الحناء: تقع غرب أولف منازلها مبنية بالطين تتوفر على عدد من المساجد، وسميت بتوات الحناء لأنها تنتج الحناء، أضف إلى ذلك إنتاجها للتمر بكميات وفيرة، وسكانها يتكلمون البربرية.[3]

---

[1] سبنسر، وليام. **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، الجزائر، ا لشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 105.

[2] شالر، وليم المرجع السابق، ص 54.

[3] **De Tassy, Laugier. Histoire du Royaume d'Alger. Eds Loysel, Paris, 1992,** P.58.

قرية أوالن: قال عنها الأغواطي ما يأتي: " وفي ،أوالن آبار وكذلك التمر، وتقع هذه القرية في الصحراء وهي مبنية بالطين والسكان هنا يتكلمون العربية.[1]

واحة القورارة: كتب الأغواطي عن واحة القورارة فقال : " ... وتضم حوالي عشرين قرية، جميعها تسقى بالماء، عن طريق القنوات ويلبس السكان ثيابا من الساي الأسود ومن الصوف ولغتهم هي البربرية ولونهم يميل إلى السواد والعملة المتداولة هي عملة فاس، وفي الغرب من القورارة وعلى مسافة عشرين يوما تقع بلاد شنقيط.[2]

واحة وادي سوف: تتوفر واحة وادي سوف على عدد كبير من المداشر التي يمكن أن توفر حسب الأغواطي، عشرين ألف رجل وحصان، ويعيش سكانها على التمر وحليب الابل وتجارتهم مع غدامس حيث يبيعون العبيد بعد جلبهم رفقة تجار غدامس من السودان.

وتمتع سكان واحة وادي سوف ومداشرها بالاستقلال الكامل إذ لم يخضعوا ولم يطيعوا أي سلطان لذا هم دائما ينظمون الفرق ويسلبون العرب من أملاكهم، ويصلون بغزواتهم إلى أراضي الطوارق، وهم يتكلمون العربية.[3]

قرى وادي ريغ: ذكر الرحالة هاينريش أن واحات وادي ريغ كثيرة تبعد عن بسكرة جنوبا بمسافة 222 كلم تتكون من مجموعها وحدة قبائل وادي ريغ وقد عدد واحات وادي ريغ كالآتي:[4]

-واحة تقرت وهي أكبر واحة في المنطقة، بيوتها طينية مثل جميع القرى الصحراوية.

وبشأنها ذكر الأغواطي سنة 1829 أنها تبسط نفوذها على أربع وعشرين قرية مجاورة لها .

-واحة تمرنة واحة سيدي ،راشد واحة غمرة واحة سيدي عقبة، واحة سيدي خليل، واحة تنديلة واحة تماسين واحة التزلة واحة تيبسبست واحة المقارين، واحة المغير.

قرى الأغواط: وتشتمل على القرى التالية:

---

[1] خوجة حمدان بن عثمان المصدر السابق. ص 119

[2] Dentu, A.G. L'Histoire et les Révolutions D'Alger. Imprimerie -Librairie De G-A. Dentu, Paris, 1838.p. 10.

[3] De Tassy, Laugier. Op.Cit, P.59.

[4] سبنسر، وليم. المرجع السابق، ص 86.

قرية تاجموت: تقع قرية تاجموت أو تاج الموت أو تجمعوت، في شمال الأغواط، بيوتها مبنية بالحجر والطين، وسكانها لا يخضعون لحاكم، وهم منقسمون إلى فريقين متخاصمين مثلهم مثل سكان الأغواط.[1]

قرية عين ماضي: تقع غربي تاجموت محاطة بأسوار ولها بابان، يحكمها مقدم الزاوية التيجانية، الذي قال عنه الأغواطي أنه يملك حوالي مائة عبد وخزانة مالية غنية، ومكتبة كبيرة وحمام في وسط البلدة، وشهد لها التاريخ بكونها كانت مصدر الثورة على بايات الغرب الجزائري من العثمانيين في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وفي الربع الأول من القرن التاسع عشر.

جبل عمور: ذكر الأغواطي أن هذا الجبل المرتفع فيه مائة عين جارية، وينبع منه واد الخير، وأرضه صالحة للزراعة، وفيه كل أنواع الخشب . وسكان هذا الجبل يربون الابل، والماعز والغنم، ولغتهم العربية، ولا يحكمهم أي سلطان، وعدد المسلحين بجبل عمور حوالي ستة آلاف مسلح.[2]

قرية متليلي : هي قرية هضابية صخرية غير محاطة بأسوار، يستخرج الماء من الطواحين المائية، وينمو بها النخيل سكانها يتكلمون العربية والبربرية يركبون الجمال وهم مسلحون بالبنادق والسيوف.[3]

قرية المنيعة: وهي في الأصل القليعة، تقع وسط الرمال غير محاطة بسور، وليس لها ماء باستثناء ما يجلب من الآبار، وسكانها الذين يسمون بالشعابنة يتكلمون العربية، ويركبون الجمال، وليس لهم خيول وتنتج المنيعة التمر والحلفاء.[4]

قرى وادي ميزاب: اقليم يجمع بين الهضاب الصخرية والوادي الذي يشتمل على ستة قرى هي :

---

[1] De Tassy, Laugier. Op. cit.,p.58.

[2] أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي ... ج 1 ، المرجع السابق ص 158

[3] سبنسر، وليم. المرجع السابق. ص89.

[4] المرجع نفسه، ص 90.

غرداية أكبر قرى ميزاب، بني يزقن ،بونورة العطف مليكة، وسيدي سعيد.[1]

وكتب شالر وليم عن الميزابيين قائلا: " وبنو ميزاب، أو الميزابيون يعيشون في منطقة تقع في الصحراء... ويشربون من مياه الينابيع ويزرعون قليلا من الشعير، ولكن التمر هو أهم إنتاج منطقة ميزاب وهم قوم هادئون نشيطون في التجارة ومشهورون بالأمانة والنزاهة في الأعمال يتحدثون باللغة الأمازيغية، والشعب الميزابي شعب أصيل لم يعتد أحد قط على أراضيه بالسطو والغزو. والميزابيون يتاجرون في العبيد والتبر وريش النعام والجمال والتمر، والبضائع المصنوعة وبلدهم يتمتع باستقلال تام عن حكومة الجزائر والامتيازات التي يتمتعون بها وتجارتهم تضمنها معاهدة مكتوبة وقعتها حكومة الايالة ". واعتمادا على أحد الطلبة الميزابيين بمدينة الجزائر، أن كل قبيلة بوادي ميزاب يحكمها مجلس يتكون من اثني عشر عضوا من الأعيان (مجلس العزاب) الذين ينتخبهم الشعب، ورغم النزاعات بين القبائل الميزابية لم تقع حرب بينهم .[2]

هذه نماذج لعدد من القرى الصحراوية التي كانت موجودة خلال العهد العثماني، وهدفنا هو إبراز الطابع القروي الذي يوحي باستقرار المجموعات البشرية الجزائرية وحتى وإن ارتحلت فهى ترتحل بمواشيها موسميا ومؤقتا فهى في هذه الحالة مجموعات نصف راحلة.

دواوير الخيام والأكواخ

ذكر لامبير أن القبيلة العربية تتكون من عدة دواوير أو تجمع خيام تربط بينهم علاقات تحالف أو مصالح مشتركة تخضع لرئيس يحكمها ويسير شؤونها .[3] والدوار بمثابة قرية ريفية مركبة من خيام تشبه المخيم وكل خيمة تستخدم في الاسكان العائلي وعادة مانجد عدة دواوير يؤلفون قبيلة واحدة، ويحكم الدوار شيخ يدعى شيخ "الدوار الذي تتوسط خيمته، الدوار، وهي منصوبة بشكل

[1] سي يوسف، محمد. "المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية. العدد 25 زغوان تونس 2002، ص 73.

[2] **Rozet, M. Voyage dans la Régence D'Alger. Paris, Arthus Bertrand,** Libraire-Editeur, Tome 02, pp.276-277.

[3] أمين، محمد المقال السابق. ص 27.

يجعلها ترتفع عن الخيام الأخرى، قصد تمييزها.[1]

ومن خلال الكتابات التاريخية تم استخلاص أنه إذا كان سكان الجبال والصحراء يسكنون القرى التي تعكس استقرارهم فإن سكان السهول من القبائل كانوا يسكنون الخيام والأكواخ التي تنصب على شكل دائرة فسميت كل دائرة من الخيام دوارا.

والدواوير حسب لامبير هو معيار عائلي داخل القبيلة، ومعنى الدوار أن كل رب عائلة ومالك لأراضي زراعية يحيط حوله أولاده وأقاربه وحلفاءه وعماله المزارعون، كما أنه يمكن للدوار أن يتشكل حول الزاوية –مقر المرابط – وهي التي تدعى بالدواوير المرابطية.[2]

وبناء على ما تقدم نلاحظ أن موضوع الريف بالجزائر العثمانية يحتاج إلى مجهود مخابر وفرق بحث لأن مادته التاريخية غزيرة ومتنوعة، وهو إن صح التعبير موضوع لا ينتهي مثله مثل موضوع المدينة في الجزائر العثمانية، ولهذا ارتأينا أن نتحكم في موضوعنا باختيار أحد المراكز الحضرية الريفية بدار السلطان المسمى بفحص مدينة الجزائر التي درسناها هي الأخرى كنموذج للمدينة الجزائرية في أواخر الفترة العثمانية.

التنظيم الإداري للريف والبادية

اتخذت السلطة العثمانية تنظيما مختلفا في الايالة ،الجزائرية، إذ أن التنظيم أحدث في جميع المجالات، ففي الجانب الإداري قسمت الجزائر إلى أربعة مقاطعات أساسية : عرفت باسم البايلك، بايلك دار السلطان بالجزائر، وبايلك الشرق وبايلك الغرب وبايلك التيطري ، كل واحد له ولايته الخاصة وله خصوصياته، وبدوره البايلك قسم إلى عدة أجزاء تعرف بالأوطان ويحتوي كل وطن على مجموعة من القبائل والدواوين والأعراش.

كان على كل وطن او مجموعة من الأوطان على رأسها ،قائد أما الشيوخ فكانوا يعينون على القبائل والدواوين حيث عدد الأوطان يختلف من بايلك لأخر، فدار السلطان تضم خمسة أوطان

[1] De Tassy, Laugier. Op.Cit, P.57.

[2] شالر، وليم. المصدر السابق. ص 55.

وهي وطن بني خليل ووطن بني ،موسى ووطن جحوط ووطن الخشنة ووطن يسر، كان القياد يحكمون تلك الأوطان بواسطة الشيوخ الذين يحافظون على سجلات الضرائب تتضمن أسماء سكان كل وطن وهي مرتبة حسب الأشخاص والأعراش، أما المناطق الأخرى التي لم تدخل ضمن إدارة الأوطان المذكورة، فإنها نضمت على شكل قيادات وكان على رأس كل منها ،قائد أما بقية البايلك كان عدد الاوطان فيه مثلا بايلك التيطري كان يحتوي على 14 وطنا وباليك الغرب 40 وطنا يقابله نفس العدد في باليك الشرق.[1]

الموظفون الذين يقومون بشؤون الأرياف والبوادي :

القياد:

يعينون من طرف الباي ويختارون عادة من الذين سبق لهم العمل العسكري توكل لهم إدارة الأوطان عن طريق التواصل مع شيوخ القبائل وتختلف أهميتهم باختلاف المناطق التي يشرفون عليها، فكان أهم قياد بايلك الشرق قياد الحراكنة والنمامشة ...الخ.[2]

الحكام:

يتصرفون في المناطق المحيطة بالمدن يتمثل نشاطهم في الأعمال الموكلة إلى القياد، زيادة على إشرافهم على النشاط التجاري وتنظيم الحرف في شكل نقابات في المدن، التي كانوا يحكمونها وعادة ما يساعدهم في أداء مهامهم مجموعة من الشواش ومن الموظفين التابعيين لهم مثل الكاهية المتصرف في الحامية المقيمة بالمدينة وأمين العيون المكلف بتوفير المياه والمزوار الذي يقوم بدور الشرطة ومراقبة الأسواق والمحافظة على الأخلاق العامة.[3]

---

[1] ارزقي شويتام: المرجع السابق، ص ص 37-38.

[2] بن عمران يوسف وزيان العمري : المرجع السابق، ص ص 70-71.

[3] القشاعي المولودة موساوي : النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر ، 1989-1990م، ص 47.

الشيوخ:

يعينون في الغالب من طرف الحكام على مختلف القبائل والأعراش والدواوين، وهم يقومون بدور الوسيط بين الأهالي والإدارة ، ويتولون مهمة جلب الضرائب من قبائلهم لهذا كان عليهم نيل ثقة الطرفين ، وكان الشيوخ يختارون من ضمن الأسر الغنية والقوية التي لها تأثير في أواسط الأهالي، إلا أن هناك بعض القبائل القوية التي كانت ترفض الخضوع لسلطة الشيوخ الذين لا ينتمون إليها [1].

الموظفون الذين لهم اتصال مباشر مع السكان الخليفة:

ينوب عن الباي أثناء غيابه، ويقوم بتحصيل الضرائب الفصلية الدنوش الصغرى ، ضرائب الخريف والربيع، ويكلف في بعض الأحيان بقيادة المحلة لاستخلاص الضرائب من عند القبائل، كما يقوم بإخضاع الثائرين والمتمردين ونظرا لأهمية وظيفته وخطورتها فتعيينه يكون بصفة مباشرة من طرف الداي ، لا سيما أنه في الغالب هو الذي يتولى منصب الباي في حال موته أو تنحيه.[2]

أغا العرب (أغا الدائرة):

احتل مرتبة سامية في البلاد، إذ هو الذي يقود وحدات الفرسان التي تتكون معظمها من العرب والقبائل العربية ليتمكن من إعطاء الأوامر وتسيير جيوشه،[3] فهو أيضا يعرف بالباش آغا وهو قائد الحامية العسكرية بمركز البايلك، ويشرف على فرسان المخزن وفرق الموجهة لجمع الضرائب، وهذا ما أكسبه نفوذا حقيقيا في الأرياف وكلمة مسموعة لدى الباي في آن واحد.[4]

الباش المكاحلي ويطلق عليه أحيانا الباش مكحلجي المكلف بتوفير السلاح والإشراف على الحربية بمقر إقامة الباي، ازدادت أهميته للتنظيم والدفاع والقيام بحملات ، وهذا ما يخول له الحق في

---

[1] ارزقي شويتام المرجع السابق، ص 39.

[2] القشاعي المولودة موساوي : المرجع السابق، ص49.

[3] حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 90

[4] بن عمران يوسف وزيان العمري: المرجع السابق، ص72.

الإشراف على القبائل.[1]

الباش سراج

المكلف بالخيول والإسطبلات له أهمية كبيرة نظرا لزيادة الحاجة إلى الخيل في الحملات ، وكان يخضع له موظفون يعرفون باسم السراجين.

ناظر الأوقاف:

المكلف برعاية الأوقاف أو أراضي الحبس في الأرياف مع العلم أنه يشمل أراضي شاسعة، كان العمال يخدمونها تحت رعاية الشاوش الذين يستخلصون فائض الإنتاج.[2]

الباش كاتب:

فهو المكلف بطابع الباي وختمه على التقارير الرسمية والمراسلات الإدارية، داخل البايلك وخارجه كما أوكل له المحافظة على السجلات العائلية ودفاتر حسابات البايلك، وقد أكسبه نفوذا وتأثيرا على الباي، مما سمح له بالتدخل في شؤون الأرياف والتصرف في أوامرها ، وتعيين الموظفين المشرفين عليها.[3]

ملاحظة :

نجد أن هناك مجموعة من الموظفين الذين لم يذكروا لقلة أهميتهم ولم تكن لهم سلطة فعلية، وإنما يعملون على تطبيق القرارات الموكلة لهم من القياد و شيوخ القبائل ، ومن بين هؤلاء الموظفين نذكر مثل قائد الدار الخزندار[4]، قائد الزريبة والباش طبال والباش علام...الخ "، من الوظائف التي انحصرت ضمن إطار القبيلة.[5]

---

[1] القشاعي المولودة موساوي : المرجع السابق، ص ص 49-50.

[2] بن عمران يوسف وزيان العمري: المرجع السابق، ص72.

[3] القشاعي المولودة موساوي: المرجع السابق، ص 50.

[4] الخزندار: هو أمين الخزانة وكان يطلق في الغالب على القائم بالحفاظ على أموال كبار رجالات الدولة، انظر: سهيل الصابات: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص98.

[5] بن عمران يوسف وزيان العمري: المرجع السابق، ص 73.

تنظيم المحلة

تعريفها:

لغة : من الفعل حل أي نزل به حل والحلول والنزول معناه نزول القوم بمحلة وهو قيض الترحال.

اصطلاحا: هي مصطلح عسكري أو هي عبارة عن جيش متحرك داخل البلاد عبر محال جغرافي و اجتماعى ،ثابت خلال مواسم معينة، فالمحلة في العهد العثماني عبارة عن فرق للجيش، الذي تتوجه إلى البايلكات الثلاثة سواء لجلب الضرائب او لمعاقبة القبائل المتمردة ....الخ .[1]

تتكون المحلة من عناصر مختلفة مثل اليولداش التي هي القوات التركية النظامية التي يرسلها الباشا من المدينة للحصول على الضرائب، إضافة إلى الفرق المخزنية التي تشمل القوات الموالية للسلطة المركزية للبايلك، حيث استعان بها العثمانيون كثيرا، مثل فرق زواوة وهي الفرق المرتزقة المحلية تتكون من أفراد القبيلة زواوة بين وادي يسر وبجاية، كانت تقدم خدمات عسكرية مقابل أجور محددة، خاصة أنها

تساهم في إخماد الثورات أو المشاركة في صد الهجمات الخارجية ...الخ .[2]

إدارة الضرائب الخاصة بالريف والبادية

تعتبر الضرائب من بين أهم المصادر الأساسية لتمويل الخزينة الجزائرية مما ارتكز عليها الاقتصاد وقد اتجهت السلطة إلى فرض الضرائب في زمن تراجع عائدات الجهاد البحري، فقسمت حسب قيمتها وطبيعة جلبها ومن بينها :نذكر:

الضرائب الاعتيادية

العشور او الزكاة

فهي واجبة في الإسلام على كل مسلم ومسلمة، استنادا لقوله تعالى : " فأَقيموا الصلاة وآتوا

[1] بن مداني رندة وطيباوي نزيهة نظام المحلة العسكري في الجزائر خلال العهد العثماني بايلك التيطري نموذجا"، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر ، 2019-2020م، ص ص 36-37.

[2] بن عمران يوسف وزيان العمري: المرجع السابق، صص74-75.

الزَّكاة،[1] باعتبارها الركن الثالث من أركان الإسلام، نجد السلطة والمجتمع الجزائري حافظوا عليها وحرصوا على دفعها، فلا يمكن للسلطة أن تسقطها لان بإسقاطها يسقط ركن من أركان الإسلام، وهي تؤخذ على الملكيات الخاصة والملكيات التابعة للدولة والمستغلة استغلالا مباشرا، حيث تؤخذ العشور على المحصول والزكاة على المواشي، حددت كمية العشور بعدد الزوجيات او الجابدات المحروثة، إذا كانت أراضي الحبوب بغض النظر عن كمية الحصاد الحقيقي، وذكرت الكتابات التاريخية أن ما كان يؤخذ عن الجابدة الواحدة هو صاع مائة كيلو غرام من القمح وصاع من الشعير، إضافة إلى حمولتين من التين ومقدار من الزبدة وبعض الدواجن، لبعض ملكيات سكان القبائل الذين لهم ملكيات خاصة في السهول، فالتقديرات النهائية تعود في النهاية إلى قائد العشور او خوجة المعونة او كاتب محزن الزرع، بمساعدة قائد الدوار او شيخ القبيلة أو الفلاح، الذي يعطي تقرير نهائي للقائد كمية المحصول، فالقائد عندما يحدد قيمة العشور يستعين بالمحلات العسكرية ليسهل عليه الحصول على المداخيل، ويضعها في المخازن في المدن أو المراكز المؤقتة للأرياف.[2]

الضرائب غير اعتيادية

اللزمة:

هي ضريبة مماثلة كانت تحبي على رجال القبائل البدو وعلى المقيمين في الواحات، وعلى أولئك المزارعين المقيمين في بلاد القبائل الذين لم تخضع أراضيهم لقياس المحراث، وملكية الأشخاص الذين لم يتركوا وصية بعد وفاتهم أو ليس لهم أولاد.[3]

---

[1] سورة الحج: الاية 78.

[2] بلبروات بن عتو المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراء في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2007-2008م، ص ص 322-323

[3] وليم سبنسر : الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر ،زبادية دار القصبة للنشر ، ،الجزائر، 2007م، ص ص 149-150.

ضريبة الغرامة أو حق العسة:[1]

فرضت هذه الضرائب على المناطق المستعصية بالصحراء والهضاب العليا والمناطق الجبلية مثل: إقليم سيباو والشمال القسنطيني، عوضا عن العشور، وهي تسدد إما نقدا أو عينا وغالبا ما تؤخذ في شكل مواشي ومواد غذائية لتوفرها لدى سكان هذه الأرياف المستعصية، والقبائل التي تمارس نوعا بسيطا من الزراعة في الهضاب العليا ،والواحات تفرض عليها الغرامة عن طريق الزويجة، أما العشائر تعتمد في حياتها على الرعي والإنتاج مثل الحنانشة والنمامشة ببايلك الشرق، وأولاد مختار التيطري فتفرض عليها الغرامة مرة واحدة أما المناطق السهلية الواقعة جنوب قسنطينة والمدية ومعسكر، كانت تكتفي بالمراقبة المشددة على الأسواق والمناطق الحيوية التي يتردد عليها سكان المناطق الجبلية أو الصحراوية أو الهضابية لاستبدال متوجاتهم المحلية بما يحتاجونه من بضائع ومصنوعات، أو لطلب المراعي الضرورية لقطعانهم في فصل الصيف وذلك للحصول على حق المرور لقوافلهم لتصريف بضاعتهم.[2]

- الخطية والدية

تفرض على القبائل المتمردة عند إقرارها بسلطة البايلك، وإعلانها الخضوع والطاعة وتقدم مقابل حصولها عن الأمان، وفي بعض الأحيان تقدم للتعويض عن الأضرار التي تسبب فيها المشاجرات والصدام في الأسواق.[3]

ومن بين الضرائب الخاصة نذكر : (التويزة [4]، المعونة ... الخ، هذا وما يلاحظ على الضريبة

---

[1] حق العسة: وهي ضريبة ألزمت بها القبائل الصحراوية مقابل إقامتها مؤقتا ببعض المراعي وترددها على أسواق الجهات الشمالية التل، لاقتنائها الحبوب ومبدلة إنتاجها من التمر والمواشي . انظر : القشاعي المولودة موساوي: المرجع السابق، ص69.

[2] نورين قرين: المرجع السابق، ص49.

[3] الشيماء جوبر ونادية غضبان المرجع السابق، ص62.

[4] **التويزة** : هي بمثابة أعمال سخرة مجانية تفرض على القبائل الخاضعة (الرعية) التي تكلف بخدمة أراضي البايلك، على شكل القيام بأعمال الحرث والبذر والحصاد وهذا ما يوفر مبالغ ضخمة لخزينة البايلك . انظر : القشاعي المولودة موساوي: المرجع السابق، ص ص 69-70.

الخاصة أنها عادة ما تنخفض في حالات الهدنة و السلم.[1]

الضرائب ذات الطابع الإداري

حقوق التولية:

ومن أهمها حق البرنوس الذي يدفعه القائد أو شيخ القبيلة عند توليته منصبه للباي، وهو بدوره يخبر أفراد قبيلته بالمساهمة بتغطية نفقات هذه الضريبة و هذه المساعدة كانت تعرف باسم حق الفرح تجمع من العائلات مع تخصيص مقدار بسيط لحامل الخبر و الذي يعرف بحق البشارة.[2]

العوائد و الترضيات و الهدايا

هي ضرائب متنوعة تقدم عادة بمناسبة حدث هام قد يطرأ بعائلة الباي او يعس حاشيته ومعاونيه مثل الولادة والزواج والترقية، ثم توسعت هذه العوائد، أصبحت تمس المطالب المائية الاعتيادية تقدم في المواسم الدينية وفي بعض الفصول الفلاحية مثل حق الكبش او هدية العيد التي تسدد يوم عيد الأضحى وتساهم به كل أسرة او خيمة، وقد يدفع عند الحاجة إضافة إلى البشارة أو الفرح، فهي ضريبة نقدية تساهم بها القبائل أثناء المناسبات المهمة مثل تنصيب الداي أو إقراره في منصبه ، أو عند تحقيقه انتصارا أو عملا عسكريا مهما وهو بمثابة حق البرنوس بالنسبة للقياد، فضيفة العادة التي هي تمثل اعتراف وخضوع أهالي الأرياف للباي، أما ضيفة الدنوش كانت فصلية وسنوية تساهم في تمويل الخزينة.[3]

فوائد ورسوم أراضي البايلك

تكون الأراضي التابعة للبايلك قطاعاً فلاحيا هاما له، تأثيره الكبير على الحياة الاقتصادية في الريف، وذلك أن عددا كبيرا من الأهالي ترتبط معيشتهم بهذا القطاع عن طريق كراء الأراضي، أو العمل بها كأجراء أو خماسين، وكان البايلك قد تحصلوا على هذه الأراضي عن طريق كراء

[1] بن عمران يوسف وزيان العمري: المرجع السابق، ص 87.

[2] المرجع نفسه، ص 87.

[3] القشاعي المولودة موساوي: المرجع السابق، ص70

المصادرات المتعددة التي يقوم بها البايات بالبايلك.[1]

رسوم الأسواق وحقوق المبادلات:

يشرف على استخلاصها القياد الذين يتولون هذا النشاط مقابل تقديم مبالغ مالية، و يحق لهم الاحتفاظ بجزء مما يستخلصونه من الرسوم التي كانت تفرض على كل المواد الموجهة إلى الأسواق.[2]

من خلال تقديمنا لهذه الدراسة حول تعاريف المصطلحين وربط علاقتهما ببعض، إضافة إلى التطرق لبنية المجتمع الريفي والبدوي ، ومعرفة أهم تنظيمه الإداري، نستنتج أن الريف شكل الجزء الأهم من تعداد السكان الجزائري، وهو المصدر الأساسي للاقتصاد خاصة أن الدولة التجأت إليه في حال تراجع مواردها البحرية، وشكلت البادية فئة متميزة في السكان وأساس بنائه يقوم على الاستقرار والترحال، واعتمادا على نصوص بعض الرحالة والمصادر وجدنا الترابط الواضح بين مصطلح الريف في الفترة العثمانية و مصطلح البادية، وأن كلاهما من أم واحدة تنوعت البنية التركيبة السكانية التي كان أساس بنائها القبائل، حيث نجد قبائل المخزن قد حظيت بالمكانة الهامة لدى السلطة، وقبائل الرعية كانت مغلوبة على أمرها والقبائل الأخرى كانت بين الخضوع والولاء بما تقتضيه المصلحة، والتنظيم الإداري اتخذ صيغة مختلفة خاصة من حيث التنظيم الضريبي.

[1] حياة قرابن وسعاد بن حركات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر أواخر العهد العثماني (1800-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص حديث ومعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة الجزائر، 2015-2016م، ص 40.

[2] بن عمران يوسف وزيان العمري: المرجع السابق، ص 88 .

الفصل الأول

الريف في بايلك الشرق خلال العهد العثماني

المبحث الأول: المجتمع الريفي في بايلك الشرق

ارتبطت حياة الريفيين بالأرض، فتمحورت حول الحقل والعائلة ومزارات الأولياء والعلاقات الأولية الشخصية الوثيقة، واستنبطت قيم الخصب والصبر والأخوة والعصبية، ومارست تقاليدها ممارسة طقوسية كممارستها للفصول.[1] ولأننا بصدد دراسة العلاقة الجدلية بين ظاهرة الصراع والمجتمع الريفي القسنطيني، ارتأينا إبراز العوامل التي تميز خصوصية المنطقة عن غيرها من المناطق الريفية الأخرى، والتي وفرت الظروف المناسبة لكثافة ظاهرة الصراع بالبايلك، كالموقع الجغرافي الذي له أهمية كبيرة في خصوصية بنية المجتمع الريفي، والذي يستدعي عوامل فرعية تعطي لهذا الجزء مميزات

تجعله أهم بايلك في الجزائر ، فهو الأوسع من حيث المساحة والأغنى من حيث الثروة.[2] وقد حدد الدكتور الإنجليزي "Shaw" الموقع الجغرافي لإقليم بايلك الشرق، بأنه يمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة 58 فرسخ ،[3] ومن الشرق إلى الغرب بمسافة 95 فرسخ، وأن نهر بوبراك الذي يصب في ميناء دلس هو الذي يفصل بايلك الشرق عن دار السلطان.[4] أما من الشمال فيحده البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب الكاف حتى تبارك، وجنوبا واحات الصحراء الشمالية الشرقية وعلى رأسها بسكرة تقرت وورقلة، وواحات ميزاب بوادي الشبكة.[5]

---

[1] حليم بركات المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001،ص 78.

[2] يعتبر بايلك الشرق المجال الحيوي الذي تنتهي إليه طرق الصحراء وتنطلق منه المسالك نحو تونس وطرابلس، كما أن ساحله يتوفر على العديد من الموانئ الطبيعية الصالحة للملاحة والمتفتحة على السواحل الأوربية للحوض الغربي المتوسط. أنظر ، فلة القشاعي: النظام الضريبي.... المرجع السابق، ص 2.

[3] الفرسخ في وحدة قياس محرفة من كلمة فرسنك الفارسية، وهو يساوي 5763 متر . أنظر : سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص162.

[4] THOMAS SHAW: Voyage dans la régence d'Alger au XVIII° siècle, traduit de l'anglais par: E.Mac Carthy, Paris, 1830, p108.

[5] صالح العنتري : فريدة مؤنسة .... المصدر السابق، المحقق، ص 27.

أما الحدود الشرقية ورغم أنها حددت بمعاهدة بين الإيالتين الجزائرية والتونسية سنة 1614م بوادي صراط، إلا أنها لم تكن تحترم من طرف القبائل الحدودية؛[1] فكثيرا ما ميزتها الصراعات منذ أن الحقت الجزائر بالدولة العثمانية، وهذا ما جعل "Noushi"[2].

يصفها بالحدود المتحركة ، أما" Urbain et Warnier"[3] فيؤكدان بأن الحدود الشرقية تصل إلى غاية طبرقة داخل الحدود التونسية، لذلك ذهب بعض المؤرخين[4] إلى ربط الحدود الجزائرية الشرقية بمواطن وحركة تنقل القبائل الحدودية.

هذا وقد قدر" Vayssettes "[5] عدد سكان بايلك قسنطينة بحوالي 2/5 من مجموع السكان بالجزائر في الفترة العثمانية، وأحصى "Noushi"[6] عدد سكان الأرياف في البايلك بحوالي 1156716 نسمة. وعلى صعيد آخر يعتبر البايلك بصفة عامة جبليا في معظمه، من حيث المظهر التضاريسي،[7] ويغلب عليه الطابع الصحراوي في الجنوب، والذي تتميز فيه الحياة بقسوة الطبيعة وما ينجر عنها من عدم الاستقرار وصعوبة التنقل ونقص المياه وانعدام الإمكانيات ومشقة العيش.[8]

---

[1] جميلة معاشي : الأسر المحلية الحاكمة.... المرجع، ص3.

[2] NOUSHI: Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinois de la conquête jusqu'en 1919, Essai d'histoire économique et sociale, P.U.F., Paris, 1961, p15.

[3] URBAIN ET WARNIER: "Notice sur la province de Constantine Organisation et situation à l'époque de l'occupation", in T.E.F, 1841,p 308.

[4] أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص 15.

[5] VAYSSETTES: "Histoire des dernier beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'Hadj Ahmed", R.A, N°03, 1858, p 166.

[6] NOUSHI: OP.CIT, p 22.

[7] محمد الصالح العنتري: فريدة مؤنسة.....المصدر السابق، المحقق، ص 27.

[8] عبد الله العياشي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ص 113_114.

ويتزعم البايلك مجموعة من الأسر المتنفذة، كأسرة الحنانشة بالشرق، المقراني بمجانة، بوعكاز وبن قانة بالصحراء، وبني جلاب بوادي ريغ، كلها أسر ذات نفوذ واسع لدرجة أنها تشارك سلطة البايلك في الحكم،[1] فضلا عن القبائل ذات النفوذ الواسع، أمثال الحراكتة، النمامشة، البابور، قبائل الأوراس الجبلية، البرانية، عامر الشراقة، زواغة، فرجيوة، وغيرها .[2] كل هذه القوى الفاعلة لعبت دورا هاما في علاقة المجتمع الريفي بسلطة البايلك ومرد هذا لخصوصية المنطقة ومن يقطنها، فهذه العوامل وغيرها لها دورها الكبير في جعل المجتمع الريفي شبه منغلق على نفسه، مما يعطيه بعض الخصوصيات التي تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى.

- **سكان الريف.**

1. **قبائل المخزن:** وهي قبائل تابعة للسلطة العثمانية عن طريق تجنيد بعض القبائل واستعمالها كقوة ضاربة في الأرياف، وهي نوعان الفلاحية والمخزنية، وكان دور هذه القبائل هو مساعدة الجيش فى إخماد حركات التمرد والعصيان التي كانت تقوم به بعض القبائل، وفي المقابل كانت هذه القبائل "المخزنية" تتمتع ببعض الامتيازات كإعفائها من دفع بعض الضرائب ماعدا التي أقرها الإسلام كالزكاة والعشور .[3]

بالإضافة إلى أن قبائل المخزن كانت تضم بعض القبائل مثل: قبائل الأعراش التي كانت تتألف من مجموعة قبائل وعشائر مختلفة الأصل، فالمكانة والأعراف والتقاليد، وكان لكل من هذه القبائل زعيمها وكبيرا يمثلها في مجلس العرش ويدافع عن مصالحها، وكانت تنتمي هذه القبائل إلى

[1] للاستزادة حول موضوع الأسر المتنفذة بالبايلك ، أنظر ، جميلة معاشي : الأسر المحلية الحاكمة.... المرجع السابق. 329 .328

[2] URBAIN ET WARNIER: OP.CIT, pp 329 –328.

[3] ليلى تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القر 19 مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 17 ، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر، ديسمبر 2014، ص 138.

عرش الزمالة والذي كان يتشكل من ثمانية (08) عروش، وهي: المخاليف والفراديدة والوادردية والمختارية والقدادرية وكانت هذه العروش توجد بالغرب الجزائري وأيضا غيرها من العروش الأخرى، حيث كان يتولى قيادة مخزن الزمالة من المخاليف في مدينة وهران وهو المرسلي بن محي الدين، وتولى من القدادرة محمد الوهراني .[1]

2.**قبائل الرعية:** وتعرف قبائل الرعية بأنهم أفراد الشعب الذي يمكن لأهالي المخزن باستخدامهم وتجنيدهم في كل وقت. فهم تحت تصرف أهل المخزن ورهن أموالهم، وتؤلف غالبية سكان الريف الذين يقومون بممارسة الزراعة، فأفراد جماعات الرعية يقومون بخدمة أراضي الدولة كأجراء أو خماسين أو باستغلال الأراضي الخاصة بهم، وهذا نظرا لخضوع جماعات الرعية لموظفي الدولة فهي مطالب بتقديم أنواع عديدة من الجبايات والمساهمة بخدمات الزامية "التويزة" لمصالح الدولة، وموظفيها وأعيانها، كما أنها ملزمة بتنفيذ تعليمات موظفي الجهاز الإداري المركزي من شيوخ وقادة وعشائر، فالشرق الجزائري مثل قبائل الرعية به تخضع إلى 24 قائد و 11 شيخا .[2]

3. **قبائل الأجواد** : وهم طبقة الأغنياء أو البنلاء الذين فرضوا وجودهم أمام السلطة المركزية العثمانية، ولم يكن أمام العثمانيين إلا الاعتراف بنفوذ هؤلاء الأجواد فأحيانا تكون العلاقة بينهم ودية وأحيانا أخرى تكون علاقة صراع، وكان قادة الأجواد أسيادا في

مناطق نفوذهم يجمعون ويفرضون أعمالهم دون تدخل السلطة.[3]

4.**القبائل البعيدة عن نفوذ الحكم:** وهي المقيمة في الجهات النائية، وهي عادة المناطق الجبلية والأقاليم الصحراوية سواء منها القبائل المتعاونة أو المعادية للسلطة المركزية، وهي تشكل تجمعات

---

[1] نصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني، طبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2013 ، ص422.

[2] المرجع نفسه، ص 423.

[3] خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف: فاطمة الزهراء قشي جامعة قسنطينة 06، ص66.

قبلية كبيرة تعرف بالأحلاف أو المشيخات أو النجوع، تتصرف حسب مصالحها ومن منطلق موقعها ومكانة زعمائها، وهذا ما جعلها ترتبط بعلاقات خاصة مع الحكام تضمن لها الاستقلال الفعلي والانتفاع بالتسهيلات التي يوفرها الحكام لها مثل تصريف إنتاجها في المدن وشراء حاجاتها من الأسواق، وهذا عندما تضطر إلى دفع المطالب المخزنية (اللزمة) .[1] فهي لا تلتزم بها خضوعا أو تبعية، وإنما لتجنب الآثار المدمرة الفصلية (المحلات أو مقابل أراض زراعية ومراع إضافية أو للحصول على تسهيلات في التبادل التجاري، ولهذا فهي لا تتردد في إعلان العصيان والقيام بالتمرد في حالة إقدام الحكام عن الحد من نفوذها أو الانقاص من مكانتها، كما هو الحال بالنسبة لبعض من القبائل الجبلية مثل الأوراس، الحضنة، جرجرة، الونشريس والضرارة بالجزائر ... إلخ..[2]

[1] حمدان بن عثمان خوجة المرآة، تق تع تح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP) ، ،(د.م.ن) ، ص ص 50-51.

[2] ليلى تيتة، المرجع السابق، ص 140.

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية والسياسية

أولا: الأوضاع السياسية:

مرت الجزائر بظروف صعبة في بداية ق 16م ، مع تفاقم الخطر الإسباني واحتلاله للموانئ الجزائرية وفرض الضرائب على المدن الساحلية مما دفع بالجزائريين للاستنجاد بالأخوين عروج وخير الدين بربروس[2] لإنقاذهم،[3] وبذلك بدأ عهد جديد من تاريخ الجزائر والمغرب العربي على حد سواء،[4] حيث أدرك الأخوان ضعف موقعها السياسي في البلاد وعدم وجود قاعدة شعبية، كما أحيط به عدد كبير من الأعداء فضلا عن انتفاضات المدن الساحلية ونقص الذخيرة الحربية والمقاتلين الأكفاء مما دفعه إلى تحرير رسالة باسم أهالي.

مدينة الجزائر[5] إلى السلطان العثماني سليم الأول[6] (1512م–1520م) يشرح فيها الأوضاع في الجزائر وخطر هجمات الإسبان، وتدخلهم في نجدة الزعماء المحليين الموالين لهم والرغبة الأكيدة لسكان الجزائر في الاعتماد على الدولة العثمانية كحامية للجزائريين والسبب الذي دفعه

---

[1] عروج: هي تسمية أطلقها عليه أصدقائه احتراما له، للمزيد ينظر ، صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر، 2005م، ص 41. خير الدين: ولد في 1483م في جزيرة مدللي إحدى جزر اليونان، توفي سنة 1546م ، للمزيد ينظر، مؤلف مجهول

[2] خير الدين: ولد في 1483م في جزيرة مدللي إحدى جزر اليونان، توفي سنة 1546م ، للمزيد ينظر، مؤلف مجهول

[3] سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تح : عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2009. م، ص – عمار بوحوش التاريخ السياسي منذ البداية ولغاية 1962م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1947م، ص52.

[4] جمال الدين سهيل، ملامح من شخصية تاريخ الجزائر خلال ق 11م، و 17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات المركز الجامعي، غرداية العدد 13 / 2011م ، ص 138.

[5] فاضل ،بيات الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا مطلع العهد العثماني أواسط ق (19م)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 2007م ، ص ص 535 – 53.

[6] سليم الأول : تنازل له والده عن العرش في 25 / 04 / 1512 م وهو في 40 من عمره، وهو قائد عربي، للمزيد ينظر، محمود محمد الحويري ، الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات القاهرة 2002م، ص 202.

لطلب المساعدة لكونها أكبر دولة إسلامية آنذاك، ولا سيما بعد سيطرتها على بلاد الشام ومصر واليمن بين سنتي (1516م –1517م)[1]، وافق السلطان سليم الأول بإعلانه خير الدين التبعية للباب العالي[2] حيث ألحقت مدينة الجزائر[3] رسميا للباب العالي[4]، بمنح خير الدين لقب بايلرباي بمعنى أمير الأمراء ونائب السلطان والعامل باسم الباديشاه [5]وبذلك تكونت إيالة الجزائر .[6]

وقد قسمت الإيالة خلال الحكم العثماني إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي[7]

إقليم قسنطينة في الشرق إقليم وهران في الغرب، وإقليم التيطري في وسط المدية، وكانت تلك الأقاليم مستقلة في ميزانيتها، ولكل إقليم عملة خاصة، وله مجلسان استشاريان إلى جانب الحاكم مجلس الشورى والديوان وبذلك قسم عهد العثمانيين في الجزائر إلى أربعة عهود[8]

---

[1] عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519م، المجلة التاريخية المغربية، تونس، مطبعة الإتحاد العام للشغل العدد (2) ، 1976م ، ص ص 119 120.

[2] الباب العالي مقر الصدر الأعظم الذي يضمه مستشاره و رئيس الشورى و وزير الداخلية، للمزرد ينظر، محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 117–113 كانون الثاني، حزيران 2012م، جامعة دمشق، ص12.

[3] أصبحت الجزائر ولاية جديدة حسب ليون الإفريقي في كتابه وصف إفريقيا، أن عدد المنازل وعمرانها قد زاد وكثرت بها الفنادق والحمامات وفيها الجامع الكبير المطل على ساحل البحر، والبساتين المنتشرة في المدينة وحولها واد الحراش يشرب منه العامة، وأهل المدينة وأسطول البحرية، للمزيد ينظر ، ليون الإفريقي ، وصف إفريقيا، تر: محمد الأخضر ومحمد حجي ، ج2 ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م ص ص 37 – 38.

[4] بادي شاه هو أحد ألقاب السلطان السيد الأعظم، للمزيد ينظر ، مجمود عامر، المرجع السابق، –ص 12.

[5] أرجمنت كوران السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، تونس، منشورات الجامعة التونسية 1970م، ص 21

[6] الإيالة أكبر التقسيمات الإدارية المعتمدة في الدولة العثمانية، و قسمت الإيالة إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية والأقضية إلى نواح وقرى، للمزيد ينظر، محمود عامر، المرجع السابق، ص 26.

[7] عقيل لطف الله ،نمير، تاريخ الجزائر الحديث، جامعة دمشق، دمشق، 2008 م، ص49.

[8] عقيل لطف الله ،نمير تاريخ الجزائر الحديث المرجع السابق، ص 49

- عهد البايلربايات [1]: (1518 م – 1587 م)
- عهد الباشوات[2] : (1587م – 1653 م)
- عهد الأغوات [3]: (1659م – 1671م)
- عهد الدايات [4]: (1671م –1830)

يعد العهد الأول من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر [5]إذ تميز بكثرة الأعمال العمرانية والإدارة السليمة، وتنظيم البحرية أيام حكم السلاطين العثمانيين الأقوياء وكانت السلطة في

[1] البايلرباي أي باي البايات، أو أمير الأمراء وهو اللقب الذي حمله حكام الجزائر في الفترة الممتدة من 1519م – 1587م ، و كانوا يعينون لفترة غير محدودة، للمزيد ينظر، أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة ببين الجزائر وإسبانيا، ش. و .نت ، الجزائر ، ط2، 1976م، ص ص : 93 – 95

[2] الباشاوات (1587م (1659م) ، في سنة 1587م تم إلغاء نظام البايلربايات، واستبدل بنظام الباشاوات، وهذا التغيير عين من قبل السلطان العثماني " مراد الثاني "، حيث أصدر فرمان إلغاء نظام البايلر بايات و استبداله بهذا النظام فأخذ الباب العالي بإرسال الباشاوات لحكم مدينة الجزائر ابتداء من سنة 1587م ، وكان هؤلاء الحكام يديرون شؤون الدولة بمعاونة اللجنة الاستشارية، وفي هذه المرحلة أصبح يعين الباشاوات لمدة ثلاث سنوات، للمزيد ينظر، محمد الهادي بيرم الرتب الملكية في الدولة العلية ، مجلة المقتطف ، العدد 9 ، سنة 418، ص 591.

[3] لفظ آغا أعجمية مستعملة في اللغات التركية والكردية والفارسية، فعند الأكراد تطلق على شيوخهم وكبارهم، و تطلق عند الأتراك على الرئيس والسيد وتطلق في الفارسية على رئيس الأسرة، و صارت كلمة آغا أيام الدولة العثمانية تطلق على الشيخ أو السيد و صاحب الأرض و رئيس خدمة البيت و كان كثير من خدمة الحكومة في الوظائف العسكرية يلقبون بكلمة آغا للمزيد ينظر ، جمال الدين سهيل ، المرجع السابق، ص 153

[4] الداي و يعني الخال في اللغة التركية، وحرف عند الباحثين العرب إلى الداين و استعمل مصطلحا ليطلق على قائد الأسطور، أما تسمية هذا الدور في الجزائر فيعود إلى الجند البحريين أو قادتهم الذين أطلقت عليهم التسمية منذ سنة 1671 ، حتى 1830م، للمزيد ينظر فاضل ،بيات المرجع السابق، ص 542.

[5] أحمد إسماعيل راشد ، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر) ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب موريتانيا) بيروت، 2004 م، ص 132.

البلاد بين رياس البحر[1] ، وفئة اليولداش[2] ، ومن أبرز آثاره توحيد الجزائر سياسيا، أما عهد الباشاوات، فقد كان على رأس الدولة ولي تعيينه الحكومة العثمانية لمدة 3 سنوات يمنح لقب الباشا ويتميز بازدهار القوة البحرية الجزائرية كما وسمحت الحكومة العثمانية بدخول الامتيازات الأجنبية ، إلى الأراضي الجزائرية [3]، وبرز في عهد الأغوات أن استأثر اليولداش فيه بالحكم وكانوا ينتخبون من بينهم آغا لمدة شهرين ثم يستبدل بغيره، وتميز ذلك العهد بالمحاولات المستمرة لفصل الجزائريين عن الحكم العثماني، ويمثل عهد الدايات عودة رياس البحر الذين تغلبوا على اليولداش وأقاموا حكما جديدا هو نظام الدايات، وذلك بانتخاب داي لحكم البلاد من قبل المجلس على أن يستمر بالعمل مدى الحياة لحين سقوط الجزائر بيد فرنسا 1830م [4]، أما الموظفون الذين كانوا يديرون أعمال أعمال الإيالة فهم على طبقتين:[5]

---

[1] وهم المقاتلون الذين ينجحون في أداء الاختبار الذي يعد من قبل مجموعة من رجال البحر ذوي الخبرة والحنكة في فنون الملاحة ويكون الشخص المتطوع في أغلب الأحيان ممن عمل سابقا في مجال البحر و ركوب السفن كي يمنح بعد نجاحه لقب (رايس) ليقاتل العدو في البحر بعد توليه قيادة سفينة أو مركب بصفة مالك أو قائد ، و كان الرياس من أصول نصرانية أوروبية، ينتمون إلى جزر إيبيريا – كورسيكا فينيسيا – جينوا – نابولي – وعدد منهم يونانيين) ، أما البحارة الأتراك فقد كانوا أقلية، و يعتمد رجال الطائفة في تمويلهم على الخزينة العامة و غنائم القرصنة ، للمزيد ينظر، وليم سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زباديه ،الجزائر، دار القصبة للنشر ، 2006م ، ص – ص : 74–75.

[2] اليولداش، هم فرقة أنشأها خير الدين في بداية حكمه من العثمانيين المسلمين والنصارى الذين اعتنقوا الاسلام وكانت العضوية الانخراط فيها تمكن صاحبها من الحصول على امتيازات ومنها الإعفاء من الضرائب والعقوبات، وهم يتصفون بالشجاعة والإقدام للمزيد ينظر، مبارك محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ص ص ، 123 – 124

[3] عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الأمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ج 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005م، ص 344.

[4] عمار بوحوش المرجع السابق ص ص : 57– 61.

[5] المرجع نفسه ، 61.

الطبقة الأولى: تظم الداي والموظفين وهم :

الخزناجي: وهو المختص بالإشراف على الخزينة وإيداع داخل الدولة بشكل نقود ومقتنيات ثمينة.

– **البيت مالجي** : وهو المشرف على مصلحة الأملاك وصيانة المقابر والثروات التي تؤول إلى الدولة بعد موت أصحابها أو فقدانهم.[1]

– **خوجة الخيل** : وهو الموظف الذي يدير أملاك البايلك ويشرف على مواثيق الدولة التي يقدمها الأهالي كضرائب عينية تفرض عليهم[2].

– **وكيل الخرج** : الموظف المسؤول عن مراقبة النشاط البحري وأعمال الترسانة[3] وتوزيع الغنائم[4].

– **أغا العرب** : هو قائد الفرقة الإنكشارية وفرسان المخزن و الصبايحية[5] والمعسكرين خارج مدينة الجزائر وهو من يقوم بمراقبة دار السلطان.[6]

أما عن الطبقة الثانية: هي الموظفون فقد شملت المساعدين مثال، كتاب الدولة وموظفي الخدمات الاقتصادية والاجتماعية ورجال الأمن والإشراف على تطبيق القوانين والأحكام المعمول بها

---

[1] محمود إحسان الهندي، الحوليات الجزائرية، تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة فالاستقلال، دار العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع ،دمشق 1977م ص ص – ، 51 52.

[2] ناصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19م، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر ص 30.

[3] الترسانة : خزانة الأسلحة، للمزيد ينظر ، محمود عامر، المرجع السابق ، ص17.

[4] ناصر الدين سعيدوني ، موظفو ا الدولة الجزائرية في القرن 19 م، ص 30

[5] الصبايحية : هو مصطلح يطلق على الفرسان الذين كانت تجندهم الدولة العثمانية مقابل استفادتهم من أراضي الإقطاع التي. كانت تنمح لهم لقاء دفع ضريبة الخراج لخزينة الدولة فضلا عن التزامهم بالمساهمة في تحمل نفقات الحرب للمزيد ينظر، خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 81.

[6] دار السلطان، مقاطعة إدارية تشمل العاصمة وضواحيها امتدت من دلّس شرقا إلى شرشال غربا، و من بيلك الطيطيري جنوبا إلى بحر الأبيض المتوسط شمالا تضم مقر حكم الوالي أو الديوان مقرها القصبة، للمزيد ينظر، حمدان خوجة، المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، الناشر ANEP ، سلسلة التراث، 2005م، ص54.

ويقومون بالإشراف على الديوان المحلي لكل من بايلك الشرق[1].

والغرب[2] والتيطري[3] أي أن الديوان هو المسؤول عن المقاطعات وهو القائم بها[4]

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية

كان اقتصاد الجزائر في العهد العثماني يتراوح بين الانتعاش في بداية القرن 16م حتى القرن 19م وذلك سبب قدوم المهاجرين الأندلسيين الذين أدوا أدوارا مهمة في زيادة الإنتاج الاقتصادي، حيث نرى أن هذه الفترة كانت لها تأثيرات واضحة وانعكاسات جمة وساهمت بشكل كبير في تغيير الخارطة السياسية للجزائر وبناء النظم الإدارية والاجتماعية، فهو الطابع الأبرز من كل الجوانب وقد كان نشاط القرصنة والأتاوات[5] دافعا دافعا اقتصاديا وخاصة في توحيد العلاقات الخارجية [6]كما يمكن القول أن الوضعية الاقتصادية التي تميزت بها الجزائر أثناء الحقبة التركية الاستفادة من مداخيل القرصنة بشكل كبير كما كان للأسطول البحري الجزائري دور هام في تنشيط الاقتصاد وذلك من خلال سيطرته على البحر المتوسط لفترة قاربت 3 قرون وبذلك أصبحت الجزائر من

---

[1] بايلك الشرق : من أكبر البايلكات مساحة وسكانا عاصمته قسنطينة يمتد من الحدود التونسية شرقا إلى بلاد القبائل غربا ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، للمزيد ينظر، حمدان خوجة، المصدر السابق، ص55.

[2] بايلك الغرب، كانت عاصمة مازونا (مستغانم) ثم معسكر ثم وهران بعد تحريرها من الإسبان 1792 م، يمتد هذا البايلك من الحدود المغربية غربا إلى بايلك التيطري شرقا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، للمزيد ينظر، حمدان خوجة، المصدر السابق ، ص 105.

[3] بايلك التيطري : عاصمة المدية، يمتد من سهل متيجة شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وهي تقع بين حدود بايلك الشرق وبايلك الغرب وتسمى ببايلك التيطري أي بايلك الأوسط، (نفسه، ص 105.)

[4] مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع ، تر ، خمني بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 ص 81.

[5] الأتاوات هي مبلغ من المال تفرضه الدولة أو أي جهات أخرى على المنتفعين لقيام الدولة لبعض المشروعات أو غيرها بالنقع على مصالحهم سواء كانت عقارات أو غيرها، للمزيد ينظر ، معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4 مكتبة الشروق الدولية، 2004م، ص04.

[6] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص 387.

أقوى دول المنطقة إلا أن ذلك لم يدم طويلا، مما دفع بالجزائر القيام بأنشطة أخرى من شأنها سد الفراغ المادي الذي تركه هذا التدهور ، فلجأت إلى الصناعة والزراعة والتجارة كبدائل اقتصادية جديدة.[1]

أ – الصناعة :

لقد كانت الجزائر تعيش حالة ضعف في المجال الصناعي خلال العهد العثماني فلم يكن هناك إلا بعض الحرف والصناعات اليدوية والصناعات المعدنية التحويلية البسيطة، وأيضا بعض الصناعات الأخرى كالحدادة المتمثلة في صناعة السيوف والرماح، وتصنيع الفحم من الأشجار والفلين،[2] إلا أن كل هذا لم يساهم في تطور الصناعة واستمرارها وذلك بسبب الاستيراد الخارجي والإكثار من الضرائب الملقاة على عاتق الممارسين للمهن الصناعية لهذا لم يكن هناك نهضة صناعية للجزائر أثناء هذا العهد.[3]

ب – الزراعة:

كانت الزراعة هي المورد الأساسي الذي يؤمن عيش أغلبية السكان، وتميز أسلوب الإنتاج فيها بالنظام الإقطاعي،[4] لذلك يلاحظ على المجتمع الجزائري في تلك الفترة أنه كان مجتمعا فلاحيا رغم ذلك كثيرا ما تعرضت البلاد للمجاعات، نتيجة فترات الجفاف التي كانت مصحوبة بغزو الجراد وانتشار الأوبئة وإتلاف المزروعات ولم يشهد النشاط الفلاحي استقرار وتطور وذلك لتدهور

---

[1] المرجع نفسه، ص 188.

[2] جون وولف باتيست، الجزائر وأوروبا 1500م – 1830م، تر وتع : أبو القاسم سعد الله ، ط2، دار الغرب الإسلامي لبنان، 2005م، ص 43.

[3] يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1965م، ص156

[4] النظام الإقطاعي هو تفرد مجموعة من ملكية الأرض وعليها من عباد هذا بالمعنى العام ومعنى آخر هو نظام سياسي اجتماعي اقتصادي حربي قائم على حيازة الأرض وتنظيم العلاقات بين السيد الإقطاعي والتابع، للمزيد ينظر، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4 ، مكتبة الشروق الدولية، 2004م، ص 50.

الأمن بالجزائر العثمانية مما أدى إلى تدهور أحوال الفلاحين.[1]

ج – التجارة :

عرفت التجارة أثناء العهد العثماني بالتدهور ، ويمكن القول أن وضعيتها كانت غير جيدة فقد كانت التجارة الخارجية تعانى نتيجة انتشار عملية القرصنة في البحر الأبيض المتوسط من طرف المسلمين والمسيحيين، أما التجارة الخارجية فكانت عرضة لانعدام الأمن نتيجة انتشار قطاع الطرق .[2]

لذلك نرى أن الوضع الاقتصادي أثناء الفترة العثمانية كانت يعيش حالة تأزم بسبب الغارات الأسبانية المتكررة، وانعدام الأمن بالريف و تذبذب وركود التجارة[3].

[1] يحيى بو عزيز، المرجع السابق ، ص 156.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، صص 34-35.

[3] أبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3 (دت)، ص 105.

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية

أولا : الحياة الاجتماعية

ارتبطت حياة الريفيين بالأرض، فتمحورت حول الحقل والعائلة ومزارات الأولياء والعلاقات الأولية الشخصية الوثيقة، واستنبطت قيم الخصب والصبر والأخوة والعصبية، ومارست تقاليدها ممارسة طقوسية كممارستها للفصول.[1] ولأننا بصدد دراسة العلاقة الجدلية بين ظاهرة الصراع والمجتمع الريفي القسنطيني، ارتأينا إبراز العوامل التي تميز خصوصية المنطقة عن غيرها من المناطق الريفية الأخرى، والتي وفرت الظروف المناسبة لكثافة ظاهرة الصراع بالبايلك، كالموقع الجغرافي الذي له أهمية كبيرة في خصوصية بنية المجتمع الريفي، والذي يستدعي عوامل فرعية تعطي لهذا الجزء مميزات

تجعله أهم بايلك في الجزائر ، فهو الأوسع من حيث المساحة والأغنى من حيث الثروة.[2] وقد حدد الدكتور الإنجليزي "Shaw" الموقع الجغرافي لإقليم بايلك الشرق، بأنه يمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة 58 فرسخ ،[3] ومن الشرق إلى الغرب بمسافة 95 فرسخ، وأن نهر بوبراك الذي يصب في ميناء دلس هو الذي يفصل بايلك الشرق عن دار السلطان.[4] أما من الشمال فيحده البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب الكاف حتى تبارك، وجنوبا واحات الصحراء الشمالية الشرقية

---

[1] حليم بركات المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001،ص 78.

[2] يعتبر بايلك الشرق المجال الحيوي الذي تنتهي إليه طرق الصحراء وتنطلق منه المسالك نحو تونس وطرابلس، كما أن ساحله يتوفر على العديد من الموانئ الطبيعية الصالحة للملاحة والمتفتحة على السواحل الأوربية للحوض الغربي المتوسط. أنظر ، فلة القشاعي: النظام الضريبي.... المرجع السابق، ص 2.

[3] الفرسخ في وحدة قياس محرفة من كلمة فرسنك الفارسية، وهو يساوي 5763 متر . أنظر : سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص162.

[4] THOMAS SHAW: Voyage dans la régence d'Alger au XVIII° siècle, traduit de l'anglais par: E.Mac Carthy, Paris, 1830, p108.

وعلى رأسها بسكرة تقرت وورقلة، وواحات ميزاب بوادي الشبكة.[1]

أما الحدود الشرقية ورغم أنها حددت بمعاهدة بين الإيالتين الجزائرية والتونسية سنة 1614م بوادي صراط، إلا أنها لم تكن تحترم من طرف القبائل الحدودية؛[2] فكثيرا ما ميزتها الصراعات منذ أن الحقت الجزائر بالدولة العثمانية، وهذا ما جعل "Noushi"[3].

يصفها بالحدود المتحركة ، أما" Urbain et Warnier"[4] فيؤكدان بأن الحدود الشرقية تصل إلى غاية طبرقة داخل الحدود التونسية، لذلك ذهب بعض المؤرخين[5] إلى ربط الحدود الجزائرية الشرقية بمواطن وحركة تنقل القبائل الحدودية.

هذا وقد قدر" Vayssettes "[6] عدد سكان بايلك قسنطينة بحوالي 2/5 من مجموع السكان بالجزائر في الفترة العثمانية، وأحصى "Noushi"[7] عدد سكان الأرياف في البايلك بحوالي 1156716 نسمة. وعلى صعيد آخر يعتبر البايلك بصفة عامة جبليا في معظمه، من حيث المظهر التضاريسي،[8] ويغلب عليه الطابع الصحراوي في الجنوب، والذي تتميز فيه الحياة بقسوة

---

[1] صالح العنتري : فريدة مؤنسة .... المصدر السابق، المحقق، ص 27.

[2] جميلة معاشي : الأسر المحلية الحاكمة.... المرجع، ص3.

[3] NOUSHI: Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinois de la conquête jusqu'en 1919, Essai d'histoire économique et sociale, P.U.F., Paris, 1961, p15.

[4] URBAIN ET WARNIER: "Notice sur la province de Constantine Organisation et situation à l'époque de l'occupation", in T.E.F, 1841,p 308.

[5] أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص 15.

[6] VAYSSETTES: "Histoire des dernier beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'Hadj Ahmed", R.A, N°03, 1858, p 166.

[7] NOUSHI: OP.CIT, p 22.

[8] محمد الصالح العنتري: فريدة مؤنسة.....المصدر السابق، المحقق، ص 27.

الطبيعة وما ينجر عنها من عدم الاستقرار وصعوبة التنقل ونقص المياه وانعدام الإمكانيات ومشقة العيش.[1]

ويتزعم البايلك مجموعة من الأسر المتنفذة، كأسرة الحنانشة بالشرق، المقراني بمجانة، بوعكاز وبن قانة بالصحراء، وبني جلاب بوادي ريغ، كلها أسر ذات نفوذ واسع لدرجة أنها تشارك سلطة البايلك في الحكم،[2] فضلا عن القبائل ذات النفوذ الواسع، أمثال الحراكتة، النمامشة، البابور، قبائل الأوراس الجبلية، البرانية، عامر الشراقة، زواغة، فرجيوة، وغيرها .[3]

إن معظم الدراسات التي تناولت التركيبة السكانية اختلفت في تقسيم فئات المجتمع، وذلك حسب الصراع الطبقي بين فئات المجتمع الجزائري في العهد العثماني [4] بحيث وما يلفت الانتباه من الناحية الاجتماعية هو اختلاف الروايات المتعلقة بإحصاء سكان البلاد في أواخر الفترة العثمانية.

التركيبة السكانية.

إن بعض التقديرات تشير إلى إن مجموع السكان بايلك الشرق لا يتجاوز مليون نسمة، وهناك روايات تضخم ذلك بحيث تعيش غالبية هؤلاء السكان في الأرياف، بينما المدن فهم سوى أقلية ضئيلة لا تتعدى 5% من مجموع السكان [5].

وبما أن شرق الجزائر كان أكثر من غيره فان عدد السكان الذي فيه بصفة تقريبية كانت حوالي ستة فاصل خمسة ملاين نسمة، أما إحصائية أعضاء الجمعية الخيرية ثلاثة فاصل خمسة ملاين

---

[1] عبد الله العياشي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ص 113_114.

[2] للاستزادة حول موضوع الأسر المتنفذة بالبايلك ، أنظر ، جميلة معاشي : الأسر المحلية الحاكمة.... المرجع السابق. 329

[3] URBAIN ET WARNIER: OP.CIT, pp 329 –328.

[4] بوركنة علي: المرجع السابق، ص 33.

[5] سعيدوني نصر الدين: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792–1830)، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985 ، ص ص 40،41.

نسمة، أما نوشي فأورد واحد فاصل خمسة مليون نسمة، وكامل بك أعطى تقرير إلى الباب العالي بأنهم يبلغون 1.131.000 نسمة [1]، وتتكون التركيبة السكانية بقسنطينة من:

- الأتراك:

هم شعب متميز عن غيره من الشعوب اختلطوا بالسكان بحيث أنهم يحافظون بدقة على الشريعة الإسلامية ويتحدثون اللغة التركية،[2] وهم من قوات الانكشارية وموظفين وقادة، ولم يتجاوز عددهم أكثر من 20 ألف نسمة، وذلك في سنة 1830م.[3]

وهم العنصر الحاكم للبلاد، وعددهم قليل ببايلك الشرق، وقد كانوا ضمن فرق الجيش ويقدمون خدمات مفيدة[4]، ويخضعون لنظام قضائي خاص، ولهم امتيازات خاصة، بحيث أنهم ولوحدهم يرتدون الثياب المطرزة بالذهب ويحملون السلاح، غير أن هذه الميزات كانت غير مسموحة للأهالي إلا سكان جيجل، بحيث أن لهم الحق في والقيادة الإدارية، لان بيد الأتراك[5]، وفي حالة وجود نقص في إدارة البلاد، سيتقدمون أبناء جلدتهم من السلطة هي الأناضول [6] ، كما نجد منهم التجار وأصحاب الورشات الحرفية، والعمال في مختلف المهن، ولا يحترقون اي مهنة كانت، بحيث نجدهم يعملون في الحياكة وصناعة الأسلحة، وفي محال التجارة كتجارة العجول،

---

[1] بوعزيز يحي: (موضوعات وقضايات ، المرجع السابق، ص 516.

[2] شالر وليام مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتقديم وتحقيق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982،ص107

[3] مؤيد محمود حمد المشهادي : أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة)، المجلد 05 العدد 16 نيسان 2013م / جمادى الأخيرة 1434م، ص 426.

[4] سعيدوني نصر الدين : (ورقات جزائرية.) ، المرجع السابق، ص159

[5] عباد صالح : المرجع السابق ، ص 357.

[6] مؤيد محمود حمد المشهداني: المرجع السابق ، ص.426

والأعلاف، والفواكه، والتبغ ..... الخ [1] .

2- الكراغلة:

هي الفئة التي تحتل المرتبة الثانية وهم أبناء الأتراك الذين ولد في الجزائر من أمهات جزائريات [2]، تكاثر عدد هذه الفئة بالمدن الكبرى، حتى بلغوا في نهاية القرن الثامن عشر إلى حوالي ست مئة نسمة، ورغم اشتراكهم مع الأتراك في الأصل، إلا أنهم ابعدوا عن المهام الكبرى خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد [3] ، وتعتبر طائفة الكراغلة أكثر عددا من طائفة في البلاد الجزائرية كلها.[4]

ونجد أن هذه الفئة قد زاحمت الفئة التركية فقطنت معها في نفس المدن، حتى أنها أيضاً امتلكت عدة أراضي، وقد وزع الكراغلة على جميع المدن ومنهم خاصة انكشارية الحاميات في قسنطينة، وعنابة، وجيجل، وبسكرة ... الخ . [5]

وقد لعبت هذه الفئة دوراها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بحيث ساهموا في تدعيم البحرية الجزائرية، وبناء السفن المختلفة، وكانت لهم مساهمات عمرانية في تحصين المدن، وحمايتها[6].

[1] عباد صالح : المرجع السابق ، ص.357

[2] سعيدوني نصر الدين : (النظام المالي (، المرجع السابق ، ص ص

[3] هلايلي حنيفي : المرجع السابق ، ص)

[4] عباد صالح : المرجع السابق ، ص 357.

[5] سقاوي نوال : الحياة الاجتماعية في الجزائر اواخر الحكم العثماني ، مذكرة تخرج لنيل شهادة تخرج لنيل استاذ في التعليم الأساسي في التاريخ والجغرافيا ، المدرسة العليا لأساتذة في الادب، جامعة بوزريعة ، 2007-2008 ، ص 14.

[6] بوركنة علي : المرجع السابق ، ص35

3- جماعة الحضر:

هم صنفين البلديين، وصنف الأندلسيين [1] .

إن جماعة الحضر أصولهم جزائرية توطنوا أهم المدن الجزائريين منذ زمن بعيد [2]، بحيث أن البلدين، هم السكان المتأصلون بالبلاد، وهم يشكلون الطبقة البورجوازية تميزوا بمهام تدل عليهم بانشغالهم في التجارة، فقد كانوا مالكين للدكاكين، وقد عرفوا ببعدهم عن السياسة، وكانوا خاضعين للبايلك، ومن بين عائلاتها على سبيل المثال: عائلة ابن الفكون ابن عبد الجليل، ابن باديس بقسنطينة [3]

أما الأندلسيين : فقد جاءوا من ممالك ارغونة بلنسة قطلونيا وغرناطة [4] .يطلق عليهم اسم المورسكيون وفدوا إلى الجزائر في عهد خير ،الذين وخلفائه، وبعد استقرارهم قاموا بأدوار فعالة في تطوير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية [5] كما كان لهم الفضل في تحريك الاقتصاد [6]، وعرف الأندلسيين بحرف عديدة منهم من يصنع الأسلحة، والبعض الآخر يصنع ملح البارود، والبارود، ويصنعون الاقفال ويزاولون النجارة والبناء والخياطة وغيرها من الحرف ولم يقتصر الأندلسيين مدينة الجزائر بل استقروا أيضاً بالمدن الساحلية، مثل بجاية [7] ، وقد مكنتهم الظروف الاقتصادية على الاحتفاظ، بتقاليدهم وعاداتهم، بحيث تميزوا برقة الذوق، وبالتفنن في العمارة والنحت والموسيقى والغناء.

---

[1] عباد صالح : المرجع السابق ، ص 358.

[2] شالر وليام : المصدر السابق ، ص91.

[3] مؤيد محمود حمد المشهداني : المرجع السابق ، ص 75.

[4] عباد صالح : المرجع السابق ، ص 358.

[5] مؤيد محمود حمد المشهداني : المرجع السابق ، ص 426.

[6] المرجع نفسه ، ص 75.

[7] عباد صالح : المرجع السابق ، ص 358.

كما كانوا يقومون بتحضير القرميد والزليج، والمخصصات ذات الزخارف، والإشكال الجميلة[1].

4- العرب :

يعتبر العرب من البدو الدين يسكنون الخيام، وتتألف كل ثرواتهم من قطعان المواشي، فهم يقومون بفلاحة الأرض، إلا عند الحاجة الماسة إلى الأقوات، كما أنهم غير مرتبطين بالأرض، ما داموا غير مالكين لها، والعرب : ينقسمون إلى قسمين، وهما العرب، والشاوية [2].

يتميز الشاوية عن العرب باللغة الخاصة بهم، وتكمن مواطنهم في جبل قريون، ونيف النسر، أما عشائرهم المستقرة بالبايلك الشرق فهي الحراكتة عبد النور التلاغمة أولاد سلام، أولاد الأخضر، أولاد سلطان، السقنية، أولاد عزيز، وأولاد معوش وعيساوة، ومنطقة الأوراس[3].

5- القبائل:

تختلف هذه المجموعة عن باقي السكان العرب بالبايلك، وذلك من حيث اللغة، والعادات، وأسلوب معيشتهم، وهم من السكان الاصلين للبلاد، وقد حافظوا على استقلالهم، والتجئوا إلى المناطق لجبلية، حيث تحصنوا بها، ويعرفون بالبرابرة.[4]

يقطنون في قرى يسمونها "دشرة" تتكون من أكواخ مبنية بالطين والوتل، وحكومتهم عبارة عن مزيج من الديمقراطية، والأرستقراطية، والقبائل شعب نشيط وذكي، وهم مهتمون بزراعة الأراضي، وتربية المواشي، وكل ما يحتاجون إليه لمعيشتهم، كما أنهم ينسجون عدة أنواع من الأقمشة الصوفية،

---

[1] سعيدوني نصر الدين: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، (د (ط ، 4 ج ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 ، ج4، صص 98 99.

[2] الشاوية : يعني شاوية الأوراس في جنوب ايالة قسنطينة. ينظر الوزان الحسن بن محمد الفاسي : وصف افريقيا ، ترجمة محمد الاخضر، *(4)* ط2، ج 1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 1983 ، ص 66.

[3] سعيدوني نصر الدين : ورقات جزائرية)، المرجع السابق ، ص ص 158، 159.

[4] سعيدوني نصرالدين : (ورقات جزائرية) ، المرجع السابق ، ص157.

ويشتهرون بزراعة أشجار الزيتون، ويحسنون أيضاً صنع بارود المدافع والنحاس والحديد[1]، ويتمركز القبائل بالجهات الساحلية بمنطقة البابور من نواحي فرجيوة.[2]

6- اليهود:

يشكل اليهود في أواخر العهد العثماني طائفة غير إسلامية[3] وكانوا يشكلون العنصر الأهم بين الدخلاء من حيث دورهم الاقتصادي .

و أهم احد العناصر البشرية المهمة بالمدن الكبرى [4] ، بحيث كانوا ممارسين للسمسرة، والربا، وكانوا يتوسطون في كل العمليات التجارية، كما احتكروا صناعة المجوهرات، وصك العملة [5] ، وسمعتهم سيئة في المجتمع الجزائري لكسبهم الفاحش غير المشروع، وتسلطهم على أبناء البلاد، وكانت أعدادهم تتزايد حتى نهاية القرن 18م ومطلع القرن 19م بسبب تقربهم من السلطة، وأعمالهم المربحة [6] ، وكان اليهود بقسنطينة يستوردون الفضة الأوربية الموجهة للصناعة التقليدية المحلية ومارسوا أيضاً الوساطة على الملح، والجلود، والأقمشة، والشمع، والعبيد.

[1] شالر وليام : المصدر السابق ، ص 113.

[2] سعيدوني نصر الدين : (ورقات جزائرية) ، المرجع السابق ، ص158.

[3] بوركنة علي : المرجع السابق ، ص 39.

[4] سعيدوني نصر الدين (ورقات جزائرية)، المرجع السابق ، ص 102.

[5] شالر وليام : المصدر السابق ، ص 89.

[6] مؤيد محمود حمد المشهداني ، المرجع السابق ، ص 427.

الحياة اليومية.

عرف الشرق الجزائري عادات وتقاليد متنوعة وتختلف حسب طبيعة كل منطقة، إذا كانت عادات أهل الريف متنوعة، وتقوم على توجيهات أصحاب الطرق الصوفية في اغلب الأحيان، أما عادات أهل المدينة بقيت موحدة ومتأثرة بما يجري في الأندلس أو في حواضر المشرق الإسلامي[1]

تمثلت هذه العادات والتقاليد في اللباس والطعام والزواج، والأعياد منها عيد الأضحى، والمولد النبوي الشريف.

1- اللباس

تختلف الملابس باختلاف طبقات الناس، وثروة الأفراد، وفصول السنة [2]، بحيث كان اللباس الأتراك الكروغلين مزين بالقصب، وبحواشي ،الذهب والفضة أو الحرير، وذلك حسب نزوة الشخص، اما العمامة فتأخذ مقايس الرجل الذي يلبسها [3]، وفوق هذه الملابس يلبس الرجل برنوسا، [4] يضعه على كتفه ويغطي به كامل جسمه بحيث أن هذا البرنوس نوع من المعطف شكله دائري، وبه قلمون في الوسط يمكن لك أن تتركه معلقا بدون استعمال كما ان هذا البرنوس يصنع قطعة واحدة بدون تخييط، ويتميز بالبساطة، والأناقة ينسج هذا الأخير بالصوف الأبيض الناعم [5]، وحواشيه تصنع من الحرير، يلبس في فصل الشتاء، ويحمل في الأسفار وينسج من خيوط امتن للحماية من المطر، ولونه اسود[6].

---

[1] أبو القاسم سعد الله رحمه الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري السادس عشر والعشرين ميلادي، ط2، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985، ص 154.

[2] شالر وليام ، المصدر السابق ، ص83.

[3] لونيسي رابح : المرجع السابق،ص30.

[4] ينظر : الملحق رقم 05، ص87.

[5] شالر وليام : المصدر السابق ، ص 83.

[6] السليماني احمد : تاريخ مدينة الجزائر ، ط1 ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص61.

2- الطعام :

فقد كان الطعام عامة الناس عبارة عن خبز الشعير وزيت الزيتون والتين المجفف، أما الأثرياء فيشربون الحليب زيادة عن هذا وقد كانت القبائل من عاداتهم انهم يربون الأغنام والدواجن، ولا يذبحونها الا عندما يحضر ضيف ، [1] والكسكس كان عندهم بمثابة الصحن القومي، يفتل حبات صغيرة عادة في قصعة من الخشب، ثم يطهى عن طريق البخار ويردق بالمرق والخضروات أو يقدم بالبيض المسلوق أو أعشاب حلوة ذات مذاق لذيذ.

أما عن الطبقة الفقيرة، فأنها تحضره بزيت الزيتون، وبالزبدة لأنها لا تستطيع شراء اللحم.[2] وفي العيد الأضحى تذبح الشاة، ويطهى اللحم مع الكسكسي، وعندما يحضر الطعام يقطع اللحم أجزاء، ويقدم إلى الضيوف مع الكسكس، وما بقي يعطى للجيران.[3]

3 المناسبات:

أ-شهر رمضان: كانت من عادات شهر رمضان ختم صحيح البخاري في المساجد، وإضاءة الشموع فيها، وفي هذا الشهر الفضيل تسهر المدينة خلافا عن سائر الشهور [4]، وقد كان عند رؤية الهلال يعلن عن بداية الصيام، وذلك بطلقة المدفع، وبهذا يبدأ الإمساك في الثالثة صباحا بعد صلاة الفجر، فيمسكون عن الأكل والشرب، فلا يصح له أن يضع الماء في فمه عند الغسل، ويمتنعون في هذا الشهر الفضيل عن التدخين كما يحترزون من شم ،الورد و يتم الإفطار في حالة المرض، وإرغام المريض على الإفطار، ويتم بتعويض أيام إفطاره بعد وعند حلول المساء، وعند الساعة السادسة يتم الإعلان عن الإفطار بطلقة مدفع أيضاً، وبما أنهم صائمون طوال

[1] خوجة حمدان: المراة، تح: وتع محمد العربي الزبيري ، المؤسسة الوطنية لاتصال النشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص24

[2] شالر وليام : المصدر السابق ، ص 88.

[3] فنديل شلوصر : قسنطينة ايام احمد باي (1832-1837) تر وتق ابو العيد دودو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 92.

[4] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 154ص155.

النهار، فعند الإفطار يأكلون كثيرا في الليل إلى حد التخمة، ويتم الإفطار في اليوم التالي لأسباب صحية، وهكذا حتى حلول عيد الفطر المبارك [1].

ب العيدين: بعد شهر رمضان يأتي عيد الفطر، وذلك برؤية الهلال ثانية فيقبل الحضر، والفلاحون أصدقاء، أو غرباء بعضهم بعضا في الرأس، والكتف، ويتبادلون التهاني وتنظم ليلة العيد حفلة عشاء تعزف من خلالها الموسيقى وفي اليوم الموالي يستطيع كل شخص دخول القصر، ويتمنى للباي عيدا سعيدا، وفي هذه الأثناء يقوم الباي يركب جواده ويغادر المدينة برفقة أعيان المدينة، والفلاحين ودقات الطبول، ويحيط بموكبه عدد غفير من الأهالي، وتطلق سبع طلقات دليل على خروج الباي، ودخوله للمدينة، ومنه تقوم عدة أشياء منها سباق الخيل الذي تصاحبه أنغام الموسيقى، وبعد ذلك تقدم جوائز لأحسن الفرسان وهدايا لخدامه، وحراسه.[2]

ج- المولد النبوي الشريف: يتم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإشعال الشموع، وينشدون فيه احتفاء بمولده صلى الله عليه وسلم والذهاب إلى المساجد، كما يتم من خلاله حفلات أخرى كالخطوبة، حفلات الختان، ويعتبر عيد كبير بالنسبة للأطفال، بحيث تزين المدارس بالأعلام، والأزهار وكانت عند الأطفال عادات خاصة منها، أنهم يقومون بحمل مسدسات يسددونها نحو كل المارة، فيدفع هم النقود، والهدايا، وفي حالة التسديد على يهودي أو يهودية فعليه نزع حدائه، وتحتوي المسدسات على ماء معطر.[3]

د-الزواج والأعراس: في مرحلة الزواج يتم تسجيل عقود النكاح في الدفاتر، انتهجت القرآن عن

[1] فنديل شلوصر: المصدر السابق، ص85.

[2] فنديل شلوصر : المصدر السابق، ص 86.

[3] المرجع نفسه، ص86.

المذهب المالكي المبني على التراضي والولي، والشهود، والمهر والصيغة ،[1] ومنه يشكل الصداق احد البنود الأساسية لحلية الزواج الإسلامي ،وقيامه وان كان المبلغ أقل، أو جل تحدده الأطراف المعينة [2]،وعندما يتم عقد الزواج تقوم العروس بشراء ما يلزمها من تجهيزات العرس بواسطة المهر المقدم لها من طرف الزوج.[3]

وبتحديد موعد الزفاف يتم استقبال النساء في بيت العروس مساءا، وذلك لوضع الحناء على يدها محاطة باللواتي يزغردن ويرقصن ويغنين بحيث كان الرجال منفصلين عن النساء، ويقدم خلال هذا الزفاف المأكولات للحاضرين، وفي اليوم الموالي يأتي كل أقرباء العريس أمام بيت العروس، وبأيدهم الفوانيس، وتجلس العروس وهي ترتدي رداء مرصع الذهب [4] ، وعندئذ تحمل العروس على البغل، ويصاحب موكب العروس أهازيج وغناء، ومنه تنطلق الأفراح ليلا من دشرة العروس إلى دشرة العريس، ويشارك فيها رجال ونساء الدشرة [5] ، وفي آخر يوم من الزفاف يدخل العريس، ويغطي وجهها بمنديل مزين ثم يأخذ عروسه إلى منزله الخاص لان الاحتفال يكون في منزل والد العروس. وهكذا ينتهي الزفاف كله بوليمة، وتصبح الزوجة خاضعة لأوامر زوجها مباشرة.[6]

ثانيا : الحياة الثقافية

لطالما كانت مدينة قسنطينة حاضرة ثقافية في شمال إفريقيا عموما و في الجزائر خاصة ، و

---

[1] كشرود حسان : رواتب الجند والموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من (1659–1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص التاريخ الاجتماعي لدولة المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، 2008، ص22.

[2] قشي فاطمة الزهراء: الزواج والاسرة في قسنطينة في القرن 18م، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 29.

[3] فنديل شلوصر: المصدر السابق، ص87.

[4] المرجع نفسه، ص87.

[5] خنوف علي: المرجع السابق، ص 87

[6] فنديل شلوصر : المصدر السابق، ص 87.

هذا لموقعها الهام الذي يعتبر ملتقى مختلف الثقافات المجاورة الأخرى ، و هذا ما أدى إلى إزدهارها علميا عن طريق ثلة من العلماء ، و مختلف المؤسسات الثقافية. التي كانت تدرس مختلف العلوم و تستقطب العديد من الطلبة من داخل الجزائر و خارجها .

المؤسسات الثقافية بمدينة قسنطينة :

لقد عرفت مدينة قسنطينة عدة مؤسسات ثقافية ذات الطابع الديني والتي ساهمت بشكل كبير في الرفع من المستوى الثقافي للمدينة ، و هذا ما جعل العديد من المؤرخين و الكتاب يتناولونها في كتبهم و مخطوطاتهم ، لتميز هذه المؤسسات عن باقي المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ومن بين هذه المؤسسات نذكر :

1. المساجد

تعتبر المساجد المؤسسة الأولى من حيث الأهمية في المجتمع القسنطينة و هذا لأنها تؤدي عدة وظائف ثقافية ودينية و إجتماعية ، فلا تكاد تجد حيا بدون مسجد ، إذ كان هو ملتقى العبادة ، و مجمع الأعيان ، و منشط الحياة العلمية و الاجتماعية ، إذ تنتشر حوله المساكن و الأسواق والكتاتيب ، و يعتبر الرابطة بين أهل المدينة كونهم يشتركون جميعهم في بنائه و أداء الوظائف فيه . و كان تشييد المسجد عملا فرديا لا يتعدى مجهودات السلطات الحاكمة.[1]

و هناك فرق بين الجامع و المسجد ، فالجامع أكبر حجما من المسجد ، و هو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة و العيدين ، و بعض هذه الجوامع كان أيضا يسمى بالجامع الكبير أو الجامع الأعظم ، غير أن هناك بعض الباحثين يذكرون المساجد فقط ثم يفصلون صغيرها عن كبيرها ، ما له صومعة و ما ليس له صومعة.[2]

---

[1] سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق، ص 245 246 247 .

[2] أحمد مريوش و آخرون : الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، د.ط ، دار القصبة ، الجزائر ، 2007 ، ص 12 ، 13 .

و لقد أورد الورثيلاني في رحلته عندما زار مدينة قسنطينة أن بها خمسة جوامع خطبة ، في حين أحصى فيرو (75) Fraud مسجدا وجامعا ، أما قايد (Gaid) فيذكر أن بها قرابة مائة مركز ديني بين مسجد و زاوية وجامع و مدرسة .[1] و من أشهر المساجد التي كانت في مدينة قسنطينة في تلك الفترة نذكر :

1 الجامع الكبير :

يعود بناؤه إلى القرن 12م ، في عهد آخر ملوك بني حماد الصنهاجيين " يحي بن عبد العزيز بن الناصر بن علناس بن حماد بن بولوغين بن زيري بن مناد بن منكوس " . يوجد ببطحاء السويقة ، المتوجه نحو القنطرة القديمة ، الواصلة بين المدينة و محطة السكة الحديدية ، و يعد من أكبر و أجمل جوامع المغرب الإسلامي . يحتوي على قاعة صلاة مربعة الشكل منبره مصنوع من الخشب ، يقع على يمسن المحراب ، و من العلماء الذين تولو التدريس فيه نذكر : محمد المكي أبو طالبي و محمد عيسى الشاذلي البوزيدي ، كما قضى الحسن الوزان معظم حياته مدرسا في مساجد قسنطينة. [2](أنظر الملحق رقم 04).

2 الجامع الأخضر :

و يسمى أيضا جامع سيدي لخضر نسبة إلى الشيخ سيدي لخضر الذي كان أول عالم في المسجد، أسسه حسين باي سنة 1742م لإقامة الصلاة و التعليم فيه ، سمي بالجامع الأعظم كما حظي بمستوى جيد في التعليم الشرعي.[3] يتكون هذا المسجد من طابقين الأرضي به مجموعة من الحوانيت المتقابلة ، أما الطابق العلوي فيتشكل من بيت الصلاة ، سقف الجامع مشكل من

[1] رشيدة شدري معمر : العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة الجزائر الجزائر ، 2005/2006 ، ص 53.

[2] بوجلال نصيرة : البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين 7 و 10 هـ / 13 و 16م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2016/2017م ، ص 51.

[3] محمد عثمان : مرجع سابق ، ص 20 ، 21 .

قبتين إحداهما تتقدم المحراب و الأخرى تتوسط بيت الصلاة ، أما المئذنة فهي مستقلة عن جدران الجامع.[1]

3 جامع سوق الغزل :

أمر ببنائه الباي حسن و كان ذلك عام 1721م ، يقع أمام سوق الغزل (سوق الصوف)[2] ، و هو عبارة عن شكل مستطيل ، يتكون من مدخلين ، كما يمتاز بمحرابه و قبابه.[3] كما يحتوي على العديد من الزخارف التي وجدت على جدرانه ، و تميز هذا المسجد بالصناعة و النقش الدقيق ، و هو من المساجد التي تميزت بالطابع الجمالي و الفني.[4]

4 جامع سيدي الكتاني :

تم بنائه سنة 1776م من طرف صالح باي ، و توجد بجانبه مقبرة عائلة صالح باي و بني إلى جانبه مدرستين: مدرسة سيدي الكتاني و مدرسة سيدي لخضر.[5] وقد إستمد تسميته من ضريح سيدي الكتاني المتواجد أمامه.

و تعتبر هذه أشهر المساجد في مدينة قسنطينة و التي إشتهرت لكبرها و لنشاطها الكبير الذي أخرج العديد من العلماء ، و هناك بعض المساجد الأخرى مثل جامع سيدي محمد بن ميمون الذي يقع في شارع النجارين ، و جامع سيدي حفصة الذي يقع بنهج عبد الله باي ، و جامع رحبة

---

[1] عبد القادر دحدوح : مدينة قسنطية خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية ، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2009/2008م ، ص 368 ، 373.

[2] محمد عثمان : المرجع السابق ، ص 18

[3] عبد القادر دحدوح : المرجع السابق ، ص 361.

[4] راوية خرزي و آخرون : الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2014/2015 ، ص 28

[5] جبيري ايمان و بوياسي مريم: مرجع سابق ، ص 105.

السوق و مسجد سيدي راشد ... إلخ.[1]

و قد كان هناك إختلاف بين المساجد الجزائرية و المساجد العثمانية من حيث البناء ، فالأولى كان بناؤها ذا شكل بسيط ، مبنية بالجبس أو الحجارة ، و صوامعها منخفضة ، أما أفرشتها فكانت بسيطة كالحصير والزرابي ، و العناية بها كانت ضعيفة و في المقابل كانت المساجد الثمانية ذات بناء دقيق ، فهي مبنية بالزليج أو الرخام و منابرها جميلة الشكل ، و إمتازت بالثريات و الزخارف والنقوش و العناية بها كانت عكس مساجد الجزائريين.[2]

2. الزوايا

بالرغم من الإنتشار الكبير للزوايا خلال العهد العثماني كان في الأرياف ، إلا أن المدن أيضا نالت نصيبها من هذه المنشئات الثقافية ، و قد إحتلت الزوايا مركزا هاما من بين المؤسسات الثقافية الأخرى، خاصة من ناحية تكوين و تعليم كل فئات المجتمع بمختلف طبقاتهم و أجناسهم ، حيث قسمها محمد بن ميمون إلى قسمين :

القسم الأول يقوم بتحفيظ القرين الكريم ، وقد يؤمه عالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلمو الحروف الهجائية و إستظهروا بعض السور من آي الذكر الحكيم على الأقل . أما القسم الثاني فيقوم بتدريس الفقهيات و العقائد و قواعد النحو والصرف ، و فنون البلاغة و المنطق و بعض المبادئ في علم الفلك ... ، و هذا الجزء لا يؤمه إلا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف[3]

فالزاوية تختلف في بنائها عن المسجد ، فهي تجمع بين هندسة المنزل و المسجد ، فهي قصيرة

---

[1] كمال غربي : المساجد والزوايا في قسنطينة الأثرية، د.ط، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، د ب ن ، د.ت.ن ، 135 ، 140.

[2] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ص 254 ، 255 .

[3] محمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، ط2 ، تق و تح : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 58، 59.

الحيطان منخفظة القباب و العرصات ، قليلة النوافذ ، بالإضافة إلى أنها كثيرة الرطوبة و العتمة.

و شكل الزاوية يوحي بالعزلة و التقشف و الهدوء أكثر مما يوحي بالحركة ، بغض النظر عن بعض الزوايا المعدة أصلا لسكن الطلبة و نحونهم ، فهي الغالب واسعة و صحية.[1]

و من أهم زوايا مدينة قسنطينة نذكر:

- **زاوية إبن نعمون :**

تقع في ناحية الشط ، و هي معروفة باسم الزاوية التيجانية ، و بها مدافن آل نعمون و هم من بايات المدينة ، و منهم محمد الشريف بن نعمون ، تقام في هذه الزاوية الصلوات الخمس و الدروس العلمية.

- **زاوية باش تارزي :**

أسسها عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة الذي عرف بباش تارزي ، المتوفي عام 1806م ، و الذي ينتمي إلى الطريقة الرحمانية فكريا وعلميا ، وإعتبره الحفناوي ناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة ، وتقع هذه الزاوية في حي الشارع" و عرفت بالزاوية الرحمانية لإتباعها هذه الطريقة . (أنظر الملحق رقم 07).

- **زاوية الشيخ الفكون** : تتواجد في حي الخرازين، لهذا تسمى أيضا بزاوية الخرازين ، و معروفة أيضا بالزاوية التيجانية ، كانت هذه الزاوية تقوم بتدريس الطلبة و الإنفاق عليهم وظلت وظائف هذه الزاوية تنتقل بين أفراد هذه العائلة ، و كان الناس يأتون إليها من كل مكان نظرا للأهمية العلمية التي كانت تكتسيها ، كونها درست مختلف العلوم العقلية و النقلية . كما إحتوت هذه الزاوية على مقابر أسرة آل الفكون و من بينهم عبد الكريم الفكون الحفيد.

[1] أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص 269 ، 270 .

- **زاوية حنصالة :**

تدعى أيضا زاوية النجارين لوقوعها بحي النجارين، تقام فيها الصلوات الخمس، و يتم فيها تعليم الأطفال القرءان الكريم ، و من بين مدرسي هذه الزاوية الشيخ عبد المجيد بسطانجي هذا بالإضافة إلى زوايا أخرى عرفت أيضا بكفائتها التعليمية ، مثل زاوية التلمساني الواقعة بنهج قسطنطين ، و زاوية نعمان ، و زاوية بن رضوان ، زاوية سيدي المسيد ، زاوية سيدي مخلوف ، زاوية سيدي ميمون ، زاوية سيدي راشد ، زاوية سيدي التلمساني.[1]

3. المدارس

المدارس هي أمكنة خصصت لإلقاء الدروس بها و ال توجد إلا ببعض المدن الكبيرة و الرئيسية مثل مدينة قسنطينة ،[2] و لقد عرفت مدينة قسنطينة هذا النوع من المنشآت الثقافية قبيل العهد العثماني و كانت أكثر إنتشارا و أكثر أداءا منها خلال التواجد العثماني في المنطقة ، و السبب في هذا أن ولاة قسنطينة لم يشتغلو ببناء المدارس ، بإستثناء عهد صالح باي ، فقد وصل عددها مع نهاية العهد العثماني إلى حوالي تسعين مدرسة.[3]

و قد كانت حركة التعليم في قسنطينة تسير بطريقة عادية ، على الرغم من عدم إهتمام السلطة العثمانية به ، فإن التعليم فيها لم يتعطل ، و حافظت على إرثها الثقافي ، حيث كان فيها العديد من العلماء و الشعراء و المثقفون.[4]

لقد تراوحت أعمار التلاميذ المترددين على المدارس بين السادسة و الرابعة عشر ، و في السن الأخير يكون التلميذ النبيه قد ختم القرآن الكريم ، وتعلم القراءة و الكتابة و قواعد الدين و أولويات

---

[1] راوية جريدي و آخرون : مرجع سابق ، ص 35 ، 36.

[2] محمد بن ميمون الجزائري : مصدر سابق ، ص 59.

[3] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص 275

[4] راوية جريدي و آخرون : مرجع سابق ، ص 42 .

الحساب ، و قد يصبح في السنتين الأخيرتين مساعدا للمؤدب في تعليم الأطفال الأصغر منه سنا ، أما ما بعد هذا التعليم، فيلجأ الطلبة إلى الخارج من أجل المزيد من التعلم ، لأن الجزائر كانت تفتقر إلى المدارس العليا.[1]

كانت هذه المدارس تعلم العديد من العلوم والمختلفة وهي:

1 العلوم الدينية : ونقصد بها العلوم الشرعية ، و هي الدراسات القرآنية و التي كثرت خلال العهد العثماني ، و انحصر فيها الإنتاج و الإبداع ، لأن هذه العلوم لا تتطلب تجديد بل تكتفي بالتقليد فقط و هذه العلوم تتمثل في :

أ – **التفسير** : من أبرز العلماء الذين تناولو هذا العلم عبد القادر الراشدي القسنطيني فقد كان يعقد مجالس الشورى للتفسير ، و من خلال مواقفه كالرسالة التي ألفها في تحريم شرب الدخان ، و يمكن القول أن تفسيره عرف بعض التجديد على عكس باقي العلماء.

ب– الحديث : لقي هذا العلم نوعا من العناية سواء من حيث التدريس أو التأليف أو الرواية ، و قد إعتمد بشكل كبير على الحفظ و لا نكاد نجد مدرسا إلا وأجاد في تدريسه أما الأماكن التي درس بها هذا العلم، فهي جوامع كبيرة و كان لا يتولى إملاء الأحاديث إلا العلماء الكبار والذين لهم أصوات حسنة.

ج – المنطق : الإنتاج في هذا العلم قليل و نادر ، بإستثناء ما قدمه قلة من العلماء أمثال إبن قنفذ القسنطيني ، يعتبر عبد الرحمان الأخضري من أبرز مؤلفي هذا العلم فقد ظلت أعماله حية و مدروسة ، و من أهم أعماله في هذا المجال ، السلم المرونق ، و دافق على نظرية أنه لا يوجد تناقض بين المنطق و الدين.[2]

---

[1] أبو القاسم : سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص 332

[2] راوية جريدي و آخرون : مرجع سابق ، ص 42 ، 43 .

علوم اللغة : لم يكن هناك كثير من التأليف في هذا المجال ، و لكن أهتم رواده على بعض العلوم منه و هي :

أ – **النحو** : و من أبرز من تناوله زيان بن فائد القسنطيني ، و الذي كانت له دراسات في هذا المجال ، و إبن الفكون أيضا ، و من أهم من درس هذا العلم الشيخ محمد تواتي و

عاشور الفكيرين ، و الذين تردد عليهم العديد من الطلاب ، من الداخل و من الخارج. ب علم البيان : ومن أهم العلماء الذين برزو في هذا المجال ، عبد الرحمان الأخضري و الذي ألف الجوهر المكنون و شرحه بنفسه ، لكنه توفي قبل أن يتم شرحه ، و هناك أيضا أحمد بن مبارك العطار في مؤلفه نزهة العيون.[1]

2.العلوم الطبيعية والتجريبية: إذا أردنا التحدث عن هذه العلوم من طب وحساب وفلك خلال العهد العثماني، نلاحظ أنه كان يتم تدريسها في المدارس و لم تحظ بعناية كبيرة كما أنها لم تخرج عن ظاهرة التقليد، فحلت محل الحساب معلومات سطحية، عن تعديل قسمة التركات، و حل محل الطب الخرافات و الشعوذة، و لعل أبرز مثال على العلماء، عبد الرحمان الأخضري و الذي ألف نظم خمسمائة بيت سماها الدرة البيضاء و قسمها إلى ثلاث أقسام الأول خاص بالحساب ، و الثاني خاص بقواعد الفرائض و الثالث بالقسمة العلمية للتركات ، و قد شرح هذا التأليف بنفسه.[2]

و من أبرز المدارس التي كان لها الصدى الكبير في مدينة قسنطينة نذكر :

أ– المدرسة الأخضرية :

أنشأها صالح باي سنة 1778م ، و أسس لها نظاما حيث كانت تشمل مسجدا و خمسة بيوت

[1] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830) ، ج2 ، دار البصائر ، ط6 ، الجزائر ، 2009 ، ص 157 ، 167.

[2] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج 2 : المرجع نفسه ، ص401 ، 405 .

إضافة إلى غرفة الدرس ، و كانت طريقة التدريس كالتالي :

يدرس المعلم ثلاث دروس في اليوم ، الدرس الأول يبدأ من الصبح إلى الساعة الحادية عشر ، أما الدرس الثاني فمن الظهر إلى العصر ، و الدرس الأخير ما بين العصر و المغرب ، و كان على كل طالب أن يقرأ 4 أحزاب من القرءان الكريم في اليوم الواحد ، حزبين بعد صلاة الفجر ، و حزبين بعد صلاة العصر و من بين خريجي هذه المدرسة عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي ، و شعبان بن جلول قاضي الحنفية ، و الشيخ العياشي قاضي المالكية.

ب المدرسة الكتانية :

بنيت في عهد صالح باي سنة 1780م ، وهي تقع إلى جانب الجامع الكتاني وقد خصصت لدراسة مختلف العلوم الدينية والدنيوية ، وفق نظام تعليمي أقامه صالح باي يتعلق بالإقامة داخل المدرسة سواء للطلاب أو المدرسين أو القائمين عليها ، و لعبت هذه المدرسة دورا إشعاعيا فكريا وتربويا بالمدينة.[1]

كما كانت هذه المدرسة بمثابة مستوى التعليم الثانوي و العالي ، حيث كانت تضاهي المدارس الأجنبية المعاصرة لها ، و هي مدرسة لا تزال قائمة إلى اليوم . و لقد غلب عليها الطابع الديني لأن العلوم الأخرى كالطب و الرياضيات و الكيمياء و الفلك ، كانت متواضعة [2]و هذا ما جعل شالر يقول أن باقي العلوم لم تكن موجودة بالجزائر ، و إن وجدت فهي محتقرة.

4. المكتبات

لقد عرفت مدينة قسنطينة نوعان من المكتبات ، المكتبات العامة التي أقيمت بجوار المساجد والزوايا و كذلك المدارس ، حيث كانت مساجد الخطبة تحتوي على خزائن للكتب و التي أوقفت

[1] راوية جريدي وآخرون : مرجع سابق ، ص 45 ، 46.

[2] سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ، مرجع سابق ، ص 284 .

على الطلبة و العلماء ، أم المكتبات الخاصة فكان عددها كثير ، و التي تعود إلى العائلات العلمية التي ذاع صيتها و يرجع ذلك إلى عمرها الطويل.

أما عن محتويات هذه الكتب فكانت معظمها كتب دينية ، في التفسير و الحديث و الفقه أكثر منها أدبية أو علمية و كان الغرض من إنشاء هذه المكتبات هو لخدمة الدين الثقافة و ، و كانت مكتبات قسنطينة خاصة ، تحتوي على كتب المشارقة و الأندلسيين إضافة إلى المؤلفات المحلية ،[1] ومن أشهر المكتبات الخاصة في مدينة قسنطينة نذكر :

- **مكتبة الفكون** : إشتهرت مكتبة عائلة الفكون بامتلاكها لهذه المكتبة نظرا لنفوذها و عراقتها ، و هي مكتبة ضخمة ، و تعرف باسم حمودة الفكون ، ولقد إحتوت هذه المكتبة على كتب قيمة و نادرة في زمانها ، منها : الجمان في مختصر أخبار الزمان للشطيبي الأندلسي ، المعلقات السبع للتبريزي ، فقد إحتوت على 2500 مجلد و كلها جيدة .[2]

- **مكتبة باش تارزي**: تعتبر أقل أهمية من مكتبة الفكون ، و لكنها ضمت أكثر من 500 مخطوط و كان أغلبها في الفقه و الدين ، و ذكر ديسلان الذي كان عاملا بها أنه وجد بها كتابين نادرين هما: معارف ابن قتيبة ، شرح إبن نباتة على أبن زيدون .[3]

الأوقاف في مدينة قسنطينة :

شهدت الأوقاف في مدينة قسنطينة إهمالا كبيرا و تقصيرا في تنظيم إدارة الأوقاف في المدينة، حيث قصر وكلاء الأوقاف في عملهم و على رأسها أوقاف المساجد التي نهب بعضها، و أغلق بعضها . أما في عهد صالح باي فقد عرفت منحى آخر، و الذي قام بتنظيم الأملاك، و رعايتها

[1] رشيدة شدري معمر : مرجع سابق ، ص 6 ، 7.

[2] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ، مرجع سابق، ص ص 290 ، 302 .

[3] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ، المرجع نفسه ص 305 ، 306 ، 307

و ضمان استمرار خدمتها فعمل على تطبيق هذه الأوقاف على أرض الواقع.[1]

البداية بإجراء إحصاء شامل و دقيق بكل ما يتصل بالأوقاف، وقام بتدوينها في دفاتر للحفاظ عليها ، كما قام بإظهار المخطط العمراني للمدينة . و كان وكلاء المساجد يحاسبون على أوقافها كل ستة أشهر ، و من أشهر الذين كان لهم دور في عملية الوقف في قسنطينة خلال العهد العثماني ، الباي حسن المعروف ببوحنك و رضوان خوجة.

[1] راوية جريدي و آخرون: مرجع سابق ، ص 55 ، 56.

الفصل الثاني

الريف في بايلك الغرب خلال العهد العثماني

المبحث الأول: المجتمع الريفي في بايلك الغرب

جاء ذكر القبيلة بصيغة الجمع في قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"[1] ومن ذلك استمد المسلمون مفهوم القبيلة، فهاهو القلقشندي "يجعل الشعب في قمة المراتب، ومنه تتفرع القبائل التي سميت كذلك لتقارب الأنساب فيها، وبعد القبيلة تأتي العمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة والعشيرة"[2]. أما ابن عبد ربه فقد وضع تدريجة صارت القبيلة من خلالها في المرتبة الرابعة، حيث رتبها على الشكل التالي: الجذم الجمهور، الشعب القبيلة، العمارة البطن، الفخذ العشيرة، الفصيلة، الرهط[3].

وقد أورد ابن منظور في لسان العرب آراء غيره في معنى القبيلة، فذكر كلام الجوهري: "القبيلة واحدة قبائل الرأس، وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض تصل بها الشؤون، وبها سميت قبائل العرب، الواحد قبيلة ... وقبائل الشجرة أغصانها، وكل قطعة من الجلد قبيلة ... قال الزجاج: القبيلة من ولد إسماعيل عليه السلام كالسبط من ولد إسحاق عليه السلام، سمُّوا بذلك ليفرق بينهما، ومعنى القبيلة من ولد إسماعيل معنى الجماعة، يقال لكل جماعة من واحد قبيلة"[4].

والأصل في أفراد القبيلة أنهم بنو أب واحد، أي ينحدرون من نسله، لكن رغم هذا يرى بعض الباحثين أن القبيلة تتكون من مجموعة من العشائر لا يشترط انحدارها من هذا الأصل الواحد، فقد يحدث أن تندمج عائلة أو عشيرة في قبيلة، أو تخرج منها لتندمج في أخرى تبعا لظروف مختلفة، ذلك أن "القبائل في الجزائر[5] لا تحددها مجموعات إثنية خالصة ومتميزة إحداها عن

---

[1] القرآن الكريم سورة الحجرات، الآية 13

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، 1997، ص 219.

[3] محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص 54.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ج ،11، بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت، ص 541.

[5] أعتقد أن هذه الحيثية ليست خاصة بالجزائر فقط.

الأخرى، لأن التداخل بين المجموعات السكانية العربية والبربرية في المغرب العربي عميق، وعامل التميز صعب "[1]، ومن هنا كان ابن خلدون قد وسع مفهوم النسب إلى القبيلة إلى درجة أنه أدخل في إطاره كل رابطة نشأت بين الأفراد بسبب طول المعاشرة، وبذلك فهو لم يقيد العصبية بالقرابة الدموية، بل بالالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة[2].

والقبيلة في الريف خلية اجتماعية أساسية تشكلها المجموعات الريفية، معتمدة في الأصل على أساسين، أولهما علاقة القربى الناشئة عن الانحدار من نسل جد واحد، وثانيهما الأرض التي تستقر عليها القبيلة. وكل تقليص لهذه الأرض يمس نظامي القبيلة الاقتصادي والاجتماعي ويؤدي بذلك إلى تفتيته[3]ا، كما أن دخول عناصر بشرية لا تنتمي إلى القبيلة يؤثر على تركيبتها بشكل ملحوظ.

وقد هيمن الطابع القبلي على الريف في الجزائر سواء في المناطق الجبلية والسهلية أو في الهضاب العليا والصحراء، ونظرا لأهمية العصبية القبلية صارت الجماعات تنتظم ضمن تنظيمات قبلية رغم انتفاء علاقة القرابة بينها أحيانا، ولم يقتصر الأمر على الريف بل أصبحت المدينة تتأثر بهذه العصبية حيث تحولت أحياؤها في كثير من الأحيان إلى امتداد لقبيلة ما[4].

وفي إطار القبيلة يتم تنظيم مسألة التعاون وتبادل المنافع، وتُظهر التويزة قاعدة التقابل (Reciprocite) التي يخضع لها معظم أشكال التعاون حيث يساعد الفلاح غيره في عمل ما ثم يحظى هو بمساعدة الآخرين بعد ذلك. كما تبدو القبيلة بوضوح جهازا اجتماعيا يمتص الفرد

---

[1] منصور مرقومة، القبلية والسلطة والمجتمع في الجزائر، بحث أنتروبولوجي في المجال السياسي التيهرتي، رسالة دكتوراة، جامعة وهران 2009 – 2010، ص 70، ص 58.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش مرجع سابق، ص 224.

[3] محفوظ سماتي، مرجع سابق، ص 152.

[4] صالح عباد، مرجع سابق، ص 362.

ويخضعه لأوامره ليوفر له في المقابل الأمن والتضامن[1].

والتضامن مفهوم عريق جدا في قاموس القبيلة ببايلك الغرب حيث يظهر في اشتراك أبنائها في الدفاع عن كيانهم، إذ يحمل كل فرد قادر السلاح حين يقتضي الأمر ذلك، ولا يمكن لأي كان أن يفرض نفسه على القبيلة فيقيم بين أفرادها عنوة، ولا يمكنه اقتناء ملكية داخل أراضيها إلا بإذنها، وللقبيلة الحق –من خلال أعيانها –في التدخل في شؤون العائلات لحل خلافاتها.

وقد حاول الفرنسيون[2] نشر مفاهيم خاطئة لتضخيم الصفات السلبية للقبيلة وما ينتج عن الانتماء إليها من "عشائرية" ليظهروا أن الفضل في جمع شمل القبائل وإحقاق الحق بينها من خلال سيادة القانون إنما يعودان إلى السلطات الفرنسية، ولذلك ضخموا مسألة القتال المستمر بين الأعراش لأتفه الأسباب، ومسألة غزو القبائل بعضها لبعض بهدف النهب والسلب. والحقيقة أن السلطة المحلية (القايد –المرابط –شيخ القبيلة) ظلت تكرس مبدأ كبح جماح العشائرية من خلال الصرامة في تطبيق الأحكام مثل تسليم القاتل لأهل المقتول للثأر منه أو العفو عنه[3].

وقد عرف ببايلك الغرب مصطلح الزفينة الذي يعني مجموعة من القبائل المشكلة من فلاحين يعيشون حول مدينة ما، وبالخصوص مدينة وهران حيث كانت القبائل المعنية بهذا المصلح خادمة عند الإسبان، ونميز في هذا الإطار الزفينات الثلاث؛ حميان[4]، شافع وهبرة، كما

---

[1] Tayeb Chentouf, Op.cit, p 581

[2] درس الفرنسيون القبيلة بشكل معمق، وللتعرف على مفهوم القبيلة من منظور الكتابات الاستعمارية يراجع: عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط5، 1996، ص 99 وما بعدها

[3] علي، خنوف، مرجع سابق، ص ص 55 – 57.

[4] أصلها عربي تنتمي إلى حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة الهلالي، وتنقسم إلى حميان شفة وحميان جمبة، تنتشر عبر المنطقة الممتدة بين العريشة وسلسلة الأطلس الصحراوي من أهم قصورها عين السفيسيفة، العين الصفراء، تيوتن عسلة، مقرار الفوقاني ومقرار التحتاني يراجع:

يعني المصطلح مجموعة من الدواوير العربية والبربرية المجتمعة في مكان ما، ويعني أيضا المكان الذي تجتمع فيه هذه الأعداد الكبيرة من الدواوير[1].

لقد كان سكان الأرياف يشكلون 92% من مجموع السكان[2]، وما تبقى يمثلون سكان المدن، ففي نهاية العهد العثماني كان سكان تلمسان مثلا 14000 نسمة، معسكر 10000 نسمة، وهران 10000 نسمة. أما سكان البايلك عموما في العهد العثماني فقدر عددهم بنحو 600 ألف نسمة يتوزعون على 275 قبيلة، منها 202 قبيلة تدار بصفة مباشرة في مساحة تقدر بـ 102000 (كم²).[3]

وقدر الفرنسي دو مازي عام 1882م عدد سكان إقليم وهران بـ 638000 نسمة، منهم 120000 أوربي، 12000 يهودي[4]، وما تبقى يشكله الأهالي من عرب وأمازيغ أي ما يعادل

فاطمة حباش، سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (120-1896)، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2004-2005، ص02.

وحين تمكن بنو عامر من النزول بسهول بلعباس واتصلت مجالاتهم بجبل هيدور كانت حصة حميان أرض الحفرة وما والاها، والمقصود بالحفرة وادي الأندلسيات الممتد بين راس فالكون وجبل مرجاجو على مسافة 14 كم. يراجع:

أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ... مرجع سابق، ص 21.

[1] Don José Vallejo, Op.cit, p 360

[2] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص 111.

[3] توفيق دحماني، النظام الضريبي ... مرجع سابق، ص 27.

[4] للتعرف على حياة اليهود بتلمسان يراجع:

Darmon, Origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, Revue Africaine,vol Ne 14, 1870, pp 376-383

506000 نسمة[1]. وقد جاءت هذه الأرقام بعد 52 سنة من بداية الاحتلال الفرنسي، أي بعد أن طرأت تطورات عميقة على المجتمع كالهجرة وعمليات الإبادة[2]، وهي بذلك لا تعكس بالضرورة صورة عدد سكان البايلك خلال العهد العثماني، لكنها تعطي صورة تقريبية على الأقل[3].

وكان سكان الريف يتشكلون من العنصر العربي والعنصر الأمازيغي، أما الأتراك فلم يكونوا يسكنون الريف إلا بالقدر الذي يحفظ مصالحهم من خلال زيارات خفيفة للأراضي التي كانت بأيديهم. كما كانت بعض العائلات اليهودية منتشرة في بعض المناطق الريفية والصحراوية بينما كانت أغلبية اليهود تسكن المدن، ويرجع سبب ذلك إلى القوانين التي لم تكن تسمح للعنصر اليهودي بامتلاك الأراضي[4].

أما توزيع السكان في ريف بايلك الغرب فقد تأثر ببعض الظروف كالوجود الإسباني بوهران الذي تحول إلى عامل طرد من المناطق المحيطة بها، واستقرار قبائل المخزن بالمناطق السهلية وسيطرتها على أجود الأراضي الواقعة بين وادي المالح غربا ومينا والشلف شرقا، حيث امتلكت 78% من السهول الوهرانية، وسيطرت قبائل الدوائر القوية وحدها على أزيد من 100000 هـ، ونتيجة لذلك اضطرت قبائل الرعية إلى النزوح نحو المناطق الجبلية أو السهول المقفرة[5].

---

[1] Victor-Eugène Ardouin Du Mazet, Op.cit, p 187

[2] لم يبق في مدينة وهران إلا 350 مسلما في جانفي 1833م من بين 4300 نسمة. يراجع:

Derrien, Les Français à Oran, depuis 1830 jusqu'à nos jours, Aix, 1886, p 41

[3] ذكر كازناف في إطار ترجمته لما أنجزه فاليو حول القبائل ضمن دراسته لتاريخ وهران أن إحصاء أنجز في بداية الفترة الاستعمارية عن جاهزية القبائل في مقاطعة وهران بين أنها كانت قادرة على توفير ما بين 250000 -300000 مقاتل. يراجع:

Don José Vallejo, Op.cit, p 355

[4] أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 66.

[5] قدور بوجلال مرجع سابق، ص 51، ص 56.

ونتيجة لذلك كثر البدو في بايلك الغرب، وقد سماهم حمدان خوجة سكان السهول وقسمهم إلى قسمين بحكم الوظيفة الفرعية التي يعيشون حياتهم ضمنها؛ أهل الصحراء الرملية وأهل التل ساكني الجبال الصغيرة، وأرجع أصلهم إلى العرب، لغتهم عربية وهم رحل ليس لهم مكان مستقر، ينزلون حيث مرعى مواشيهم ويدفعون الضريبة للسلطة ضمانا لسلامة أملاكهم[1].

وانعكست طبيعة النشاط الاقتصادي الذي يمارسه سكان الريف على أوضاعهم الاجتماعية فصاروا يصنّفون إلى[2]: سكان سهول يزاولون زراعة الحبوب، فلاحي جبال يشتغلون في البساتين، أجراء يقدمون خدماتهم في الفحوص[3]، رعاة سهوب ورحل يعيشون في الصحراء ويهتمون برعي الإبل[4].

كما يرى إيميريت أن التركيبة الاجتماعية في الريف الجزائري تكونت على العموم من جماعة ذات امتيازات وجماعات عادية (الرعية) يمكن ترتيبها كالآتي:

- كبار ملاك العقارات أفرادا وعائلات.
- فلاحي الملكيات الجماعية.
- الخماسة الذين لا يحتفظون في النهاية إلا بخمس الغلة.

---

[1] حمدان خوجة، مرجع سابق، ص 69.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات ... مرجع سابق، ص 389.

[3] الفحص تقسيم إداري للمناطق التي تقع خارج أسوار مدينة الجزائر مباشرة، وقد كانت هناك ثلاثة فحوص حولها: فحص باب الوادي، فحص باب، عزون وفحص الباب الجديد. يراجع:
مصطفى بن حموش، مرجع سابق، ص.274 غير أن ذلك لم يمنع من استخدام لفظة "فحص" بخصوص مدن أخرى أو استخدام لفظة حوز التي تجمع على أحواز كما فعل محقق طلوع سعد السعود. يراجع:
ابن عودة المزاري، مرجع سابق، ج 1، ص 209.

[4] Nomadisme moutonnier des Hauts-Plateaux steppiques et nomadisme chamelier du Sahara. Voir:

- العمال المزارعين المؤقتين، أما الدائمون فكان عددهم قليلا.
- العبيد السود الذين يخدمون في بيوت العائلات الغنية[1].

وقد عرفت المنطقة هجرات من الجنوب إلى الشمال، وهو ما يفسر وجود كثافة سكانية في الهضاب العليا والأطلس التلي، ويعود ذلك إلى استقطاب هذه المناطق لسكان الجنوب بفضل إنتاجها المنتظم ومراعيها التي لم تتعرض أبدا إلى جفاف تام، وفرص العمل المتوفرة في بواديها وفي مدنها القليلة، حتى تحول الشمال إلى "فريسة" تستهوي أغنياء مربي الماشية وجماعات رعاة السهوب الذين استقروا به في النهاية، لكنه تحول أيضا إلى مأوى للبؤساء الذين يفرون أسرا وجماعات من الجفاف ويجلبهم إلى الشمال سراب موارده الوفيرة[2].

كما تأثر عدد سكان بايلك الغرب سلبا مع بداية المرحلة الاستعمارية، خصوصا بعد أن وضع منظر المجتمع الاستعماري في الجزائر أرموند فيكتور هان A V Hain فكرة الإبادة العرقية، موجها عام 1832م نداء يقول فيه باستحالة إدماج السكان الأصليين، يفتي بشرعية طردهم إلى الصحراء أو إبادتهم في حالة المقاومة[3]، وهو ما دفع الناس إلى الهجرة الجماعية[4] خصوصا بعد تنامي وتيرة العمليات العسكرية التي استهدفت القضاء على ثورة الأمير عبد القادر.

ففي بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر هاجر الحشم وبنو عامر إلى المغرب الأقصى، ثم عادت أعداد كبيرة منهم بعد نهاية مقاومة الأمير عبد القادر، كما عادت 590 خيمة أي ما يعادل

---

[1] Yves, Guillermou, «Le développement pastoral en Algérie: dirigisme ou laisser–faire?»> Cahiers des Sciences Humaines, vol 26, 1990, p 156 Marcel Emerit, Les tribus privilégiées… Op.cit, p 44

[2] Jean Despois, Op.cit, p 925

[3] الطاهر عمري، مرجع سابق، ص 29.

[4] للتعرف على الهجرات الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية تراجع المقالات المنشورة ضمن سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات حول الرحلة والهجرة، جامعة قسنطينة، جوان 2010.

3000 شخص من أقارب الأمير من المغرب عام 1848م، يضاف إليهم عدد هائل من العائلات التي أصلها من تلمسان معسكر ومستغانم والتي كانت قد استقرت بوجدة تازة، تيطوان وطنجة، بل واستقر بعضها بالرباط وسلا أما قبيلة أولاد سيدي الشيخ فصارت بعد 1864م منقسمة بين الجزائر والمغرب. ولم يكن هؤلاء المهاجرون بحاجة إلى ترخيص للهجرة من الجزائر بقدر ما كانوا بحاجة إليه[1] للعودة إليها[2].

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية والسياسية

[1] كان بنو عامر قد هاجموا مركز سيدي بلعباس في 1845م، وفي العام الموالي هاجر أغلبهم إلى المغرب الأقصى، بيد أنهم ما لبثوا أن التمسوا وساطة قنصل فرنسا بطنجة لردهم إلى الجزائر.

[2] Kamel Kateb, «La gestion administrative de l'émigration algérienne vers les pays musulmans au lendemain de la conquête de l'Algérie (1830-1914) », Population, 52eme année, Ne 2, 1997, p 405

قسم البايلك إلى عدة أجزاء تعرف بالأوطان، ويحتوي كل وطن على مجموعة من القبائل الأعراش، والدواوير. وكان يعين على كل وطن أو مجموعة من الأوطان قائد.أما الشيوخ فكانوا يعينون على القبائل والدواوير[1].

وكانت الأرياف هي الخلية الأساسية في البناء الإداري العثماني، خاصة وأنها المورد الأساسي للبلاد في الفترة الأخيرة من العهد العثماني، أثرت هذه الأرياف في تطور العلاقة بين السلطة والمجتمع إذا ما علمنا أنه لهذه المناطق إدارة طالما عملت من أجل توسيع سيطرة البايلك إلى مناطق ظلت ممتنعة، وكانت هذه الإدارة تعتمد على رؤساء المناطق الداخلية ما يعني أن العثمانيين أرادوا خلق إطار طبيعي للاتصال بالداخل عن طريق هؤلاء الرؤساء المرابطون، شيوخ القبائل[2].

وكان الجهاز الإداري للوطن يتكون من القائد، الذي يعينه الداي، باقتراح من البا، على رأس الوطن أو مجموعة من الأوطان، وكانت تربطه علاقة مباشرة بالباي. وهو في الغالب من أصل تركي أو كرغلي أو من الأعلاج، ويمكن أن يكون أحيانا من أصل عربي، وكانت مهمته تتمثل في الإشراف على شؤون القبائل التي يحكمها بواسطة شيوخها، ويسهر على الأمن والسير الحسن للأسواق، التي كانت تعقد في المناطق الخاضعة له[3].

كان شيوخ القبائل يتمتعون بسلطات واسعة مما جعل منهم زعماء المناطق الريفية الحقيقيون فقد كانوا في أواخر العهد الزياني بتلمسان مصدر قوة الدولة الفعلية ومواقفهم السياسية كانت حاسمة عندما حل الأتراك بالجزائر فإنهم وجدوا واقعا اجتماعيا وسياسيا متجدرا في الماضي تمثل

[1] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني (926-1246هـ / 1519-1830 م)، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009 ص.53.

[2] محفوظ قداش، الجزائر في العهد التركي، الأصالة، عدد 52 ،1977، ص ص 10-11.

[3] محفوظ قداش، مرجع سابق، ص 54

في وجود عدة كيانات سياسية محلية تمثلت في المشيخات[1]، بحيث حافظ العثمانيون على هذا التنظيم الاجتماعي في الأرياف، وذلك بإبقائهم على سلطة شيوخ القبائل، ودعمهم لشيوخ الزوايا والطرق الصوفية، مما يمثل ازدواجية في السلطة الإدارية[2].

وعلى العموم فقد تركت السلطات أمور الإدارة الداخلية لشيوخ القبائل المنحدرين من العائلات الكبرى فكان كبير الشيوخ الذي ترأس شيوخ الفرق، يعامل كخليفة للقائد التركي لذلك بشيخ الشيوخ، لأن السلطات كانت على دراية تامة بأن أعيان تلك القبائل لم يكونوا ليقبلوا بشيخ غريب عن قبيلتهم، لذلك أبقى البايلك وبصفة وراثية على عادة رئاسة شيوخ بعض العائلات لتلك القبائل[3].

1-الفلاحة:

خلال الفترة العثمانية في الجزائر كان النشاط الفلاحي ضعيف جدا في جميع المستويات، فالفلاحين كانوا يستعملون أدوات بسيطة كمحراث إفريقيا الرومانية الذي لم يخضع لأي تعديل والمنجل الذي يعود لنفس العهد، أما قنوات الري فقد كانت تعود إلى القرن الحادي عشر، إضافة إلى ذلك فقد كانت تربية الماشية تتم في الطبيعة بطريقة بدائية[4].

إضافة إلى ذلك ساهمت طبيعة ملكية الأراضي في تدهور الفلاحة كذلك، فقد كانت متنوعة فهناك الملكيات الخاصة لبعض أغنياء المدن من الحضر وبعض الأتراك والكراغلة، كملكية بايات

---

[1] عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني "الإدارة المركزية أنموذجا "، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008 – 2009 م ،ص.76

[2] ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، مرجع سابق ،ص254

[3] عمر حرفوش، مرجع سابق، ص 77.

[4] محمد بن عبد القادر الجزائري تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، دار اليقظة العربية، دمشق، 1964، ص 14. وتتوسع أكثر ينظر: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514 1830) دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر: 2005ص 21.

الغرب بمسرغين والدار البيضاء بضواحي وهران. ولقد كان يدفع عن هذه الأراضي ضريبتا العشور والزكاة فقط، وكانت مساحاتها قليلة وتتمركز خصوصا في ضواحي المدن الرئيسية[1].

وتتضمن ملكية البايلك الأراضي التابعة لسلطة البايلك مباشرة وغالبا ما كان يتم الحصول عليها بالمصادرة أو الشراء أو وضع اليد ، وكانت هذه النوعية من الملكية، ببايلك الغرب، تضم حوالي 11.250 هكتار تقيم عليها قبائل المخزن من الزمول والدوابر ، التي كانت تستغلها لصالح البايلك مقابل دفعها لضريبة الكراء، أوما يعرف بالحكور التي تقدر قيمتها بحوالي 12 صاعا من القمح و 12 صاعا من الشعير، أوما يقدر بحوالي 50 % من الإنتاج[2]، ولقد كانت أراضي هذا النوع من الملكية منتشرة في سهول بايلك الغرب، كسهول وهران وتلمسان وغريس وسيرات والشلف[3].

أما الأراضي المشاعة التي تعود ملكيتها إلى سكان القبيلة أو الدولي، فقد كانت تعرف في بايلك الغرب بأراضي السبيقة، وكان يقوم بخدمتها أفراد القبيلة، وكانت هذه الأراضي تنتشر في المناطق المحاذية للأراضي التي تشغلها قبائل المخزن[4].

كما كانت هناك أراضي الوقف التي تصرف مواردها في الأعمال الخيرية ذات الصبغة الدينية، وكانت معظم هذه الأراضي موقوفة على المذهب الحنفي الذي يسمح لمن يوقف أرضه باستغلالها والاستفادة منها له وتخلفه. كما أنها لم تكن تخضع لأي ضريبة ولا تتعرض للمصادرة،

---

[1] Charle André Julien, l'histoire de l'Algérie contemporaine: conquête et colonisation (1827-1871),Presse Universitaire Française, Paris, 1964, P. 16.

[2] ناصر الدين سعي لوني، النظام المالي للجزائر في العهد العثماني (1800- 1830) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، 69.

[3] جون بول وولف، جون بول وولف، الجزائر واوروبا، ترجمة أو قاسم سعد سول الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1986 ص447.

[4] ناصر الدين سعي لوني، المرجع السابق، ص 70.

وكانت تتركز هذه الأراضي بالقرب من مراكز المدن الكبرى، كتلمسان ووهران ومعسكر[1] أما الأراضي البور فإن ملكيتها كانت ترجع لمن يجيبها، إلا أنم معظم سكان الريف كانوا يمارسون تربية الماشية[2].

ومما تميز به الإنتاج الفلاحي بالمنطقة أنه كان ذا مودودية عالية بالرغم من تدني تقنيات الإنتاج نظرا لخصوبة الأراضي، وبما أن الحبوب كانت المادة الأساسية للاستهلاك المحلي والتصدير إلى الخارج، فإنها كانت تزرع على نطاق واسع في بايلك الغرب، حيث كانت المساحة المخصصة لها حوالي 3500 جايدة[3]، وقد انتشرت زراعة الحبوب في عدة جهات من البايلك كسهل غريس وقلعة بني راشد ومستغانم وتلمسان[4].

إضافة إلى زراعة الحبوب كانت الأشجار المثمرة كالتين والزيتون والبرتقال والعنب، منتشرة في الحقول المحيطة بالملين في بايلك الغرب كوهران وتلمسان ومعسكر، ومستغانم التي كانت تنتشر فيها الأشجار المثمرة على مساحة 800 هكتار، تتخذى من المياه المتوفرة بكثرة في المنطقة[5]، كما كانت زراعة البقول والخضر تتم هي الأخرى بضواحي المدن، وكانت توجه في الغالب إلى الاستهلاك المحلي، أما المزروعات ذات الطابع التجاري كالقطن والكتان فقد كانت تشتهر بها سهول بايلك الغرب، كالشلف ومعسكر ومستغانم، حيث يقدر إنتاج القطن بالمنطقة في أواخر القرن الثامن عشر بحوالي ستة آلاف صاغ من سهول مينا والشلف ومستغانم، كما اشتهرت

---

[1] . Lucette Valenci, Le Maghreb avant la prise d'Alger, Flammarion,Paris, 1969, P.34

[2] . IBID, P.44

[3] ناصر الدين سعيلوني –المهدي البو عبدئي الجزائر في التاريخ: العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 51.

[4] المرجع نفسه، ص 52.

[5] أندري بريتان أندري نوشي اين لاكوست الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابع ومنصف عاشور الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر ص.188

المنطقة الممتدة ما بين رأس فالكون والحدود المغربية، بإنتاج العسل والشموع التي كانت تكفي احتياجات مكان المنطقة ويتم بيع الفائض منه إلى وكالات البايلك[1].

أما الثروة الحيوانية لقد كانت متوفرة بكثرة، حيث كانت منطقة سيدي بلعباس مشتهرة بتربية الأغنام، بينما كانت أحصنة الجنوب الوهراني ذات شهرة في كامل الإيالة الجزائرية لأصالتها وقوتها، فقد كان حصان هذه المنطقة لا يباع بأقل من 372 فرنك، ولقد كانت تلك الثروة الحيوانية توفر كميات هائلة من الوبر والصوف التي كانت تستخدم محليا ويباع بعضها إلى التجار الذين يصدورنه إلى الخارج".[2]

2-الصناعة:

كانت الصناعة في أواخر العهد العثماني بالجزائر تقليدية بعيدة هما وصلت إليه الصناعة في أوروبا[3]، فقد كانت هذه الصناعة التقليدية تتمركز أساسا في المدن الرئيسية، فمدينة معسكر اشتهرت بصناعة البرانيس والأقمشة الكتيمة التي كانت تستعمل في كافة الإيالة وكانت في بعض الأحيان تصدر كميات منها إلى مصر وتركيا، وكان البرنوس الجيد منها يباع بمائة فونك[4]، أما مدينة تلمسان فقد اشتهرت خلال الفترة العثمانية بصناعة الأغطية الصوفية والأحزمة الحمراء، ونشير في هذا الإطار إلى أن يهود تلمسان قد اشتهروا يصنع الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة، كما كان فخار ندرومة معروفا بجودته، أما مازونة فكانت تنتج الأدوات الجلدية وبعض الأقمشة[5]، ولقد كان الحرفيين في المدن شوارع خاصة عرفت بنوع الأعمال التي كانوا يمارسونها ، فهناك

[1] ناصر الدين سعيدوني –المهدي البو عبلكي، المرجع السابق، ص 53

[2] ناصر الدين سعيلوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر–العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ص 115.

[3] ناصر الدين سعيلوني –المهدي البو عيدكي ، المرجع السابق، ص 53

[4] الجايدة الواحدة تساوي من 8 إلى 10 هكتارات أنظر: ناصر الدين سعهلوني – المهدي البوع لكي، المرجع السابق، ص 58.

[5] Venture de Pardis, Alger au XVIIIème siècle, Edition Bouslama,Tunis, S.D., P. 54 .

مثلا شارع النحاسين والحدادين والنساجين وغيرها، كما كان بالمدن بعض الطواحين والمخابز، ويمكن القول أن هذه الصناعات التقليدية موجهة خصوصا لتلبية حاجيات سكان المدن الأساسية وكماليات الفئات الفنية، أما الصناعة التحويلية فلم تتعدى استخراج ملح سباخ وهران ومعالجة الجير المستخرج من المحاجر الواقعة بالقرب من المدن[1].

عانت الصناعة في أواخر العهد العثماني بالجزائر عامة وبالغرب الجزائري بشكل خاص من عدة هوائيل جعلتها لا تتطور، فالحكام لم يشجعوا النشاطات الصناعية، فتوكيل نقباء الحرفيين بالمدن بتحديد نوعية وكمية المنتوج أدى إلى ركود الصناحة، كما أن الضرائب التي كانت مفروضة على النشاط الصناعي التقليدي حدت من انتشاره، كما كان تشجيع البايات لاستيراد المواد المصنعة من الخارج دور هو الآخر في النخفاض مودود الصناع والحرفيين الذين كانوا مجبرين على رفع أسعار سلعهم لتغطية نفقاتهم أحباء الضرائب، وهوما أدى إلى غلاء المصنوعات المحلية أمام المصنوعات الأجنبية[2]، فتلمسان مثلا أضحت في أواخر العهد العثماني مستودعا للمنتوجات المصنعة القادمة من جبل طارق وفاس كالأسلحة والأقمشة وغيرها، وهوما أدى إلى رواج المنتوجات المستوردة على حساب المنتوجات المصنعة محليا[3]، وبذلك يمكن القول بأن هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى عدم قيام صناعة حقيقية كما كان الحال مع أوروبا في نفس الفترة.

3-التجارة:

يمكننا تقسيم المبادلات التجارية التي كانت في الجزائر خلال الفترة العثمانية إلى صنفين (داخلي وخارجي) فالمبادلات التجارية الداخلية كانت تتم عن طريق الأسواق في المدن والأرياف، ولقد

[1] أندري بريتان و آخرون، المرجع السابق .ص 187

[2] ناصر الدين سعيلوني – المهدي البو عيلكي: المرجع السابق، ص 59

[3] Chrle André Julien, Op. Cit., P.10 .

كانت هذه الأسواق تقام أسبوعيا وبعضها كان سنويا[1]، وتعرف الأسواق عادة باسم اليوم الذي تقام فيه مضاف إلى اسم القبيلة أو المنطقة الجغرافية التي كان يعقد فيها، ولقد كانت الأسواق مهمة جدا بالنسبة للسلطات العثمانية، حيث كانت تشجع إقامتها في المناطق الخاضعة لقبائل المخزن وذلك للاستفادة من مواردها المالية، وكذا مراقبة القبائل غير الخاضعة لسلطتها، فالأسواق كانت تستخدم من قبل السلطات العثمانية لفرض حصار اقتصادي على القبائل المتمردة بمنعها من دخول السوق ، ومن ذلك تذكر سوق العربة في الشلف الذي كانت السلطات العثمانية تشدد الرقابة عليه لمحاصرة قبائل الوارسنيس الخارجة عن سيطرتها. إضافة إلى ذلك كانت أسواق المناطق الداخلية التلية ذات أهمية كبيرة للسلطات العثمانية لما لها من أهمية بالغة في تبادل منتوجات المناطق الشمالية بمنتوجات المناطق الصحراوية والعكس صحيح، كسوق اللوحة الموسمي الذي كان يعقد بمنطقة تيارت، كما ساعدت الأسواق التي كانت تعقد في الأرياف والمدن على تبادل منتوجات المناطق الشمالية بمنتوجات سكان المدن وسكان الأرياف .

ونظرا للاحتكار الذي كان يمارسه البايلك في تجارة المواد الأولية كالحبوب والزيت والشمع والصوف والجلد والمواشي، جعل الفلاح لا يبيع منتوجاته بأسعار ملائمة، حيث أن رجال البايلك كانوا يشترون تلك المواد بأسعار معينة من الفلاحين ليعيدوا بيعها للوكالات التجارية بفائدة تصل إلى 60% من ثمن المحصول الذي يشترى به القنطار الصوف مثلا كان يشترى من قبل البايلك بحوالي 15 جنيها ويعاد بيعه للأجانب ب 24 جنيها ، وكان الأجانب يصدروه إلى أسواق مرسيليا بسعر يصل إلى 38 جنيها فهذا الاحتكار أدى إلى انخفاض الأسعار في الأسواق فسعر الكبش الواحد بوهران كان يباع بثلاثة أرباع بوجوأي ما يعادل 1.45 فرنك، أما الحبوب فكان سعر الصاع منها حوالي ثلاثة بوجوأي 5.40 فوتك، كما كان سعر البقرة التي تزن مائة كيلو غرام لا

[1] صالح عباد، المرجع السابق. ص 337

يزيد عن 14.40 فرنك[1]، إضافة إلى ذالك كانت المبادلات التجارية الداخلية ببايلك الغرب خلال العهد العثماني تعاني من نقص الطرق التجارية التي لم تهتم السلطات العثمانية بتوسيعها وتحديثها، وفي هذا الإطار يمكن أن نشير إلى أن الطرق التجارية في بايلك الغرب كانت أحسن من الجهات الجزائرية الأخرى حيث كان يضم طرقا طبيعية تسمح بمرور القوافل التجارية وذلك بسبب طبيعة المنطقة التي كان بأحواز مدنها سهول واسعة كسهول وهران ومعسكر وتلمسان ، كما كانت هناك بعض الجسور على الأودية كجسر وادي صفصاف في جهة تلمسان وجسر وادي الشلف ، وقد كان من بين أهم الطرق التجارية الداخلية الطريق السلطاني الرابط بين تلمسان ووهران والجزائر وقسنطينة حيث كان لهذا الطريق أهمية كبيرة في تنمية المبادلات التجارية بين المناطق الغربية من الجزائر وجهات الوسط والشرق[2]، ولكي تحافظ السلطات العثمانية على أمن الطرقات كانت تقيم بعض المراكز على الطرق تعرف بالقوناق وهي عبارة عن مركز تقيم فيها حاميات مخزنية تكلف بأمن الطرق، وهذه المراكز لا تحتوي على مبان مشيدة وإنما بعض الخيام توفر الراحة والأمن للقوافل التي تستخدم تلك الطرق.[3]

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية

زخر المجتمع الريفي ببايلك الغرب بكثير من المظاهر الدالة على ثراء الحياة الاجتماعية بإيجابياتها وبسلبياتها بل وبتناقضاتها في كثير من الأحيان، ويظهر ذلك من خلال العلاقات السائدة بين العناصر الأساسية المشكلة لفعاليات هذا المجتمع في تقابل جميل يوحي بالتنوع كالمرأة والرجل الغني والفقير، السيد والخادم، الشريف وغير الشريف، المتعلم والجاهل... وهذا ما يمكن أن نتعرف على بعض جوانبه من خلال ما يلي:

[1] حمدان عثمان خوجة المرآة ترجمة وتقديم: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1982. ص.97

[2] ناصر الدين سعي لوني : النظام المائي للجزائر في الفترة العثمانية (1800- 1830)، المرجع السابق، ص.36

[3]

مكانة المرأة والطفل: وصف دارفيو نساء الجزائر بالبدينات القصيرات اللائي تضع كل واحدة منهن لحافا يغطيها من الرأس إلى القدمين، ولا تَظهر إلا عينا واحدة. وعلى الأذن ثقب يسمح بوضع الحلي، غير أن ذلك كله لاقيمة له" لأنهن متقلبات الأمزجة عنيدات كسولات يأكلن بشراهة[1]. ومن حق أي قارئ لهذا الكلام التساؤل عن مدى واقعيته خصوصا وقد رافقه معيار التعميم الذي كثيرا ما يتنافى مع عنصر الموضوعية في الكتابات التاريخية.

والواقع أن المرأة كانت محترمة في بايلك الغرب وموقرة خصوصا من قبل أقاربها، حيث يدافع عنها أهلها حتى وإن بدا منهم أحيانا ما يضايقها، أما استشارتها والأخذ برأيها فأمر لم يكن من السهل قبوله في هذه الفترة، ولم يكن ذكر أسماء نساء البيت أمام الأجانب[2] أمرا مقبولا، ولذلك ترى الرجل حين يسأل عن أهل صاحبه يسأل عن الدار كناية عنهم فيقول: "كيف اش دارك؟" ذكر أسترازي هذه الكلمات الثلاث وكتبها بالعربية توضيحا لها، وجعلها ترجمة للعبارة التالية: "Comment se porte ta maison?"[3].

وتفصل مجالس النساء عن مجالس الرجال داخل الخيمة الواحدة بستار، أما سكان الريف المستقرون في بيوت مبنية فيعزلون غرف النساء عن غرف الرجال لاسيما المخصصة للضيوف. ورغم هذا التحفظ الشديد كانت المرأة تحضر المناسبات الكبرى أشكال زينتها.

التكافل الاجتماعي: عرف الريف ظاهرة التكافل الاجتماعي بشكل ملفت للنظر، سواء في شكل مبادرات فردية يقوم بها الميسورون، أو في شكل أعمال خيرية تبادر بها الزوايا ورجال الطرق الدينية وخلفاؤهم ومقدموهم، وكانت الزكاة فرصة يستفيد منها كثير من الفقراء، وجدير بالذكر أن نصاب زكاة الأموال أواخر العهد العثماني كان 200 درهم أو 120 فرنكا فرنسيا يدفع عنها

---

[1] Chevalier d'Arvieux, Mémoires du Chevalier d'Arvieux, Paris, Libraire Le Fils, sans date, p 287

[2] الأجنبي المقصود هنا هو الذي ليس من محارم المرأة.

[3] Esterhazy, De la domination turque … Op.cit, p 144

صاحبها 2.5% حين تبلغ الحول[1].

الشعر: لم يغب الشعر عن المجتمع الريفي ببايلك الغرب، فقد كان حاضرا في أفراح الناس وفي مآسيهم، ولم تسلم السياسة من تفاعلاته الإيجابية والسلبية، وذلك منذ وقت سيدي لخضر بن خلوف[2] صاحب القصيدة الشهيرة "يا" راس بنادم" التي عرفت عند العامة بقصيدة "يا راس "المحنة والتي ضمنها كثيرا من معارفه وتجاربه في الحياة.

فقد استعمل الشاعر كثيرا من الألفاظ التي كانت شائعة يومذاك للتعبير عن مضامين أدرجها ضمن القصيدة، حيث تحدث عن العالم "مول القمنة" الذي يفتي الناس فيما يعترضهم من مسائل، وعن اليهودي الذي ما له" ظنة" أي الذي لا يأمنه الناس في المجتمع، وعن الشاعر "القوال" الزاهي في مجالس الطرب واللهو، وعن "المداح" الذي يتغنى الناس بقصائده ويرافقه "القصاب" وعن السارق الذي ضبط متلبسا فبيع بأربعين سلطاني.

كما يلفت الشاعر نظر السامع إلى مجموعة من القضايا الهامة التي عاشها المجتمع آنذاك كقلة الأمن، فهاهو "المسبَّب "[3] ضاع منه ماله جملة واحدة وهو ما صار مدعاة لذهاب عقله، وكانتقال "الطالب" من جهة إلى أخرى لطلب العلم، والزيارات التي كانت أضرحة الأولياء مقصدا لها، وحالة الذعر التي عاشها العدو الإسباني في وهران من شدة بأس المجاهدين.

واستخدم الشاعر في القصيدة ألفاظا تركية كلفظ الخوجة الذي كان "كتاب عند الدولة خطة

---

[1] توفيق دحماني، النظام الضريبي ... مرجع سابق، ص78.

[2] يلقب بالأكحل، وهو لخضر بن عبد الله الشريف الإدريسي المولود عام 1492م والمتوفى عام 1613 وبذلك يكون قد عاش قرابة 121 سنة ميلادية . يراجع:

عواطف فلاحي، بنية النص وتوليد الدلالة في القصيدة الشعبية الجزائرية قصيدة راس المحنة أنموذجا" رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2010-2011، ص ص 69-70

[3] كلمة عامية ما زالت مستخدمة في غرب الجزائر وهي من بذل الأسباب وتطلق على الذي يمتهن تجارة الحيوانات.

جايز عند الناس ليس يخيب ولفظة "السناجق "[1] التي تحمل لتزيين موكب "السلطان"، وتحدث عن "التركي الشواش"، وبيَّن موقف العلماء من مثل بعض الممارسات التي تتسم بالشعوذة كحال الساحر "مالك" أهل الذلة، كما تحدث عن الحضري الذي "ما هناه حال "مدينة وهو ما دل على أن بعض الناس ضاق رزقهم في المدن فخرجوا يسعون إلى تحصيله في الأرياف، غير أن الظروف الأمنية لم ترحم الحضري فصار "طالب الأمان" كحال الذي قاتل" روح على هله هربان".

كما عرج الشاعر على بعض الحرف التي كان الناس يمارسونها كحرفة النجار والجزار والعطار الذي يبيع للناس مرجان" وحنة وروايح ومسواك" والحرار الذي ينسج للناس "قفاطن وحياك" والفلاح "اللي غرس الشجرة حتى تحولت الأرض إلى "جنة خضرة" و"الدلال" السماسري بالهدرة بين البايع والشاري قديت النار" الذي يشعل حرب الأسعار رغبة في تحقيق مصلحة خاصة ونظرا لمثل هذه التجاوزات يذكر الشاعر بقيمة عقيدية متعلقة بالرزق فيقول: الرزق مع الروح نتاج حتى نفنى"[2].

وصحة الجسم فيها غير خافية والعيب والداء مقصور على الحضر[3]

الشجاعة: يوجد بين سكان الأرياف فرسان متميزون لهم كثير من الشجاعة والمهارة "فعندما يركب الواحد منهم لا يتردد في محاربة عشرين أو ثلاثين شخصا، وله القدرة على رد هجوماتهم ولا يكتفي هؤلاء بهذا لأنفسهم وإنما يربون أبناءهم على هذه الخصال حتى أنهم لا يرضون بفعل أدنى دنيئة[4]."

[1] أي الرايات.

[2] للتعرف على المعاني الدينية في شعر سيدي لخضر بن خلوف يراجع:

[3] محمد بن الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ج 2، ص ص 17 – 18.

[4] حمدان خوجة، مرجع سابق، ص 75.

وقد كتب الرحالة الألماني فيلهلم شيمبر **Schimper**[1] عن شجاعة الجزائريين في الحروب ومهارتهم في استخدام أسلحتهم، لكنه عاب عليهم قلة التنظيم وكثرة الاختلافات، ثم أثنى على كرم سكان المناطق الداخلية خصوصا الذين يشتغلون في البساتين وحقول الحنطة[2].

ومن باب إظهار القوة على التحمل كان الشباب في الريف يمشون حفاة سيقانهم عارية، إذ يعتبرون هذا الفعل نوعا من الخشونة يقاوم صاحبها حر الصيف وبرودة الشتاء، وهو –في أعينهم –دليل كاف على الرجولة[3].

الزواج: ساهمت الظروف الاجتماعية والاقتصادية في ظاهرة التعدد إلى حد كبير، حيث لم يكن الميسورون ليجدوا صعوبة مادية لتغطية مصاريف البيت الثاني، بل حتى الخماس كان على فقره –حسبما ذكر خوجة –يتزوج أكثر من واحدة[4] لتعينه على أداء مهامه الكثيرة إذ تساعده الأسرة كلها على زرع الأراضي وإنجاز مختلف الأشغال[5].

يا ويلي يا ويلي يا ويلي[6]

الحفاظ على الأعراض: حرص المجتمع الريفي على المحافظة على الأعراض، ومن ذلك منع النساء من الاختلاط بالرجال الأجانب عنهن، فحين يدخل الضيف ينادي صاحب المنزل

---

[1] (1804-1878))

[2] أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص 18

[3] Chevalier d'Arvieux, Op.cit, p 282

[4] لكن من خلال دراسة معمقة أنجزها دومينيك تابوتان توصل إلى أن تعدد الزوجات في بلاد المغرب في الفترة الاستعمارية لم يعد ذا أهمية بالغة، حيث كان تأثيره ضعيفا إن لم نقل مهملا ، وهذا الحكم ينطبق على الجزائر، ففي إحصاء أجري عام 1911م تبين أن 64 رجلا فقط من كل ألف رجل متزوج (064%) عددوا الزواج. يراجع:

Dominique Tabutin, «La polygamie en Algérie», Population, No2, 1974, pp 313 – 314

[5] حمدان خوجة، مرجع سابق، ص 73

[6] أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص 206 والقصيدة في الأصل تغنى بالعامية لكن أحد الرحالة الألمان ترجمها إلىالألمانية، ثم نقلت إلى العربية الفصحى

منبها إلى ذلك حتى لا تعترض النساء طريقه، وكل من يدخل بيتا دون الإعلان عن ذلك يعتبر سارقا أو راغبا في انتهاك حرمة، ولذلك تسلط عليه عقوبة الموت، فإذا نجا منها تعرض لعقوبات مالية وجسدية[1].

حب الخيل: أحب المجتمع الريفي في بايلك الغرب الخيل واهتم بها ولذلك اعتنى بتربيتها، ومما يدل على قيمتها إدخالها ضمن ما يدفع ضريبة، فقد قدرت الضرائب التي دفعتها الجالية الأندلسية بمستغانم عام 1570م بـ 800 زياني ذهبا و 600 قسيمة كبيرة من القمح والشعير، و 2000 رطل زبدة، و 70 بغلا مهيأ للخدمة، و 03 فقط من عتاق الخيل[2]، وهذا لقيمة الواحد منها، وكان باي الغرب حين ينتقل إلى مدينة الجزائر ومعه الدنوش يقدم للداي هدية قيمة ضمنها 04 من عتاق الخيل[3].

وكان في ريف بايلك الغرب[4] الكثير من الخيول، ففي 1900م أحصى الفرنسيون 2101 حصان عند قبائل الأحرار، و837 حصانا عند أولاد خليف[5]. ونظرا لأهمية الخيل خصص ابن سحنون الراشدي قبل ذلك بعضا من كتابه للحديث عنها وعن أوصافها والعارفين بها من الناس[6].

وحين انتقل الرحالة الألماني فاغنر من معسكر إلى بوحنيفية ودخل مع مرافقيه المنطقة الجبلية أدرك أهمية الحصان العربي، فقد كتب فيما بعد "وإن المرء ليشعر في مثل هذه الأمكنة

---

[1] Laugier de Tassy, Op.cit, p 113

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث ... مرجع سابق، ص 142

[3] الحاج أحمد الشريف الزهار، مرجع سابق، ص 40

[4] كانت تربية الخيول في الجزائر العثمانية شائعة للغاية فقد تحدث حمدان خوجة عن الذوادي بن قانة خال أحمد باي في الشرق الجزائري وقال إن بإمكانه توفير أكثر من 10000 حصان عند أول إشارة للتجنيد. يراجع:
حمدان خوجة، مرجع سابق، ص 82

[5] Fabre, Op.cit, p 264

[6] ابن سحنون، مرجع سابق، ص 337 وما بعدها

بفائدة الحصان العربي. لقد قمت برحلات كثيرة في هذه البلاد وكنت أسير في الظلام الحالك وفي العواصف والأمطار عبر الغابات والمرتفعات المليئة بالأوحال والحجارة، لكن حصاني لم يتسبب أبدا في سقوطي".[1]

السكن تحدث الحسن الوزان في ق 16م عن بعض سكان غرب المغرب الأوسط، ومنهم سكان إقليم بني راشد الذين ينقسمون إلى قسمين؛ أهل المرتفعات الواقعة شمال السهل، ويسكنون دورا لائقة جدا مبنية بجدران، وكانوا يزرعون الحقول والكروم، وأهل السهول الذين يسكنون جنوب هذه المرتفعات وهم أشرف" بكثير، يقيمون في البادية ويعيشون تحت الخيام معتنين بماشيتهم، ولهم عدد وافر من الجمال والخيل، وهم أثرياء جدا".[2]

وفي العهد العثماني صار سكان الأرياف ينقسمون من حيث السكن إلى ثلاثة أقسام تتحكم فيها ظاهرتا الاستقرار والترحال؛ سكان المنازل سكان القرابي، وسكان الخيام. غير أن مسألة تنقل الخيمة واستقرار المنزل بما فيه القربي تقتضي إبداء ملاحظة أساسية أن التنقل والاستقرار كانا نسبيين، فكثيرا ما طال استقرار الخيمة في جهة ما وكثيرا ما بقيت المنازل غير مسكونة بشكل مستمر، ضف إلى ذلك اختلاط الخيام بالمنازل في المكان الواحد، وهو ما كان جديرا بالملاحظة عند Masqueray الذي اعتبر جميع سكان الأرياف رحلا ومستقرين في آن واحد[3].

وإذا كان بنو عامر مثلا قد احتفظوا بصفة البداوة طويلا فإن إخراجهم من مليتة انجرت عنه سيطرتهم على أقاليم جبلية وبذلك فُسح المجال أمامهم للعيش مع القبائل المستقرة، وحتى لو ظلوا يسكنون الخيام في هذه المناطق الجديدة فإن ذلك مجرد مظهر شكلي لا أهمية له لأنهم

[1] أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص 171

[2] الحسن الوزان مرجع سابق، ج 2، ص 26

[3] Augustin Bernard, Edmond Doutté, « L'habitation rurale des indigènes de l'Algérie », Annales de Géographie, N°141, T 26,1917, p 219

سيعرفون تغيرا في عقلياتهم تمليه مسألة الاستقرار[1].

عينه كحلة مهذبة والشوشة واتاته "[2]

رحلة الشتاء والصيف: لم يمنع الاستقرار الذي عرفه البايلك في بعض مناطقه ظاهرة البداوة التي نشأت كرد فعل عن الضغوط المالية المخزنية، وحولت كثيرا من القبائل –بشكل تدريجي–إلى حياة الرعي الموسمي الذي تطبعه ظاهرة الانتقال نحو الجنوب فصلي الخريف والشتاء، والعودة إلى الشمال فصلي الربيع والصيف، بينما تحول بعض سكان الريف نهائيا إلى سكنى الخيام والانتقال الدائم وراء قطعان المواشي ضمانا لغذائها، وهو الأمر الذي شهدته سهول وهران بشكل ملفت للنظر.[3]

فحين يقترب فصل الصيف ينتقل الرحل من الصحراء نحو التل، ينقلون معهم نساءهم وأطفالهم ومواشيهم وكلابهم وخيامهم، فالآبار في الصحراء يقل ماؤها، والنباتات تيبس، بينما يعد التل بالكثير خاصة الحبوب التي يقترب أجل حصادها، حتى إذا كثرت في الأسواق قل سعرها، وعادة ما تنشط الحركة التجارية في هذا الفصل، فالرحل يبادلون التمور والمنسوجات الصوفية بالحبوب والصوف الخام والسمن والأغنام.

وفي نهاية الصيف تُعطى إشارة إلى الرحل للعودة إلى مواطنهم، فتطوى الخيام وتحمل الجمال بالأثاث والمنتوجات المنتقاة من التل، وتصل هذه الجموع إلى مواطنها مع فترة نضج التمر، حيث تمضي شهرا كاملا في جمع الغلال، وشهرا آخر في مبادلتها بما جيء به من التل، فإذا انتهت هذه العمليات وضعت البضائع في المخازن، وبدأ ابتعاد القبائل عن المدن ضمن

---

[1] Pierre Boyer, «Historique des Béni Amer d'Oranie ...», Op.cit, p 56

[2] الحاج محمد بن رمضان شاوش مرجع سابق، ص 272

[3] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص 113

عملية البحث عن الكلأ، وذلك حتى يقترب الصيف، فيتهيأ الناس للرحيل نحو التل من جديد[1].

وقد كانت قبائل الصحراء تمتلك أعداد هائلة من الحيوانات خصوصا الجمال والأغنام، ولم تكن تزرع الأراضي، وإنما تعيش على الحليب والتمر، وتغير أماكنها باستمرار، ولذلك لم يكن سهلا على البايلك الوصول إليها، وكان بعضها يطلب الأمان من الباي مقابل هدايا مهمة فيسمح لها بالتنقل إلى سهول الشلف التابعة للبايلك، حيث تمارس الغرابة[2].

الآفات الاجتماعية: كان المجتمع الريفي ببايلك الغرب محافظا إلى درجة بعيدة، ملتزما بكثير من الأخلاق التي لم يكن المجتمع يتساهل مع الذين يفرطون فيها، وكان للمرابطين وأعضاء الجماعة وكبار السن دور في ترسيخ هذه القيم، لكن ذلك لا يعني انعدام الآفات الاجتماعية تماما فقد عرفنا أن الخمر كانت رائجة وأن بيوت الخنا كانت موجودة، وأن الفساد الاجتماعي الأخلاقي كان منتشرا ، وبالإضافة إلى ذلك شاعت القهوة والدخان[3]، وكلاهما كان محل مناقشة بين الفقهاء، وكثر في ذلك القيل والقال، وانتصر بعض الشعراء ... لشرب الدخان الذي يسميه السبسي، بل كانت تجارة الدخان تجارة رائجة "[4]

كان هذا إذا رغم مواقف بعض العلماء الواضحة، فقد نقل أبو راس الناصر كلاما لأهل العلم مفاده أن "طابة" أي الدخان "مندرجة تحت المفسدات للعقول ... وأن فيها إضاعة مال، ويتعاطاها الأشرار لقلة حيائهم، وأن تسمية الفسقة لها بـ"طابة" حرام عليهم لتشريفهم لها به كما

---

[1] E, Carette, Du commerce Op.cit, pp 14-15

[2] أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص 132

[3] كان التبغ من الزراعات الرائجة في الجزائر في العهد العثماني خصوصا في ضواحي مدينة الجزائر، حيث أجود أنواعه مقارنة بالمناطق الأخرى من الإيالة. وكان كثير منه يصدر إلى تونس وإلى طرابلس. يراجع:
Venture de Paradis, Alger au 18ème siècle, Alger, Adolphe Jourdan, Libraire, éditeur,1898, p24

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ... مرجع سابق، ج 2، ص 250

سموا الخمر بأسماء شريفة".[1]

كما ناقش العلماء أضرار القهوة، ومن ذلك نقل أبي راس الناصر لبيتين من الشعر

أقول لأصحابي عن "القهوة" انتهوا ولا تجلسوا بمجلس هي فيه

وليست بمكروه ولا بمحرم ولكن غدت مشروب كل سفيه

3-السلطة والحياة الثقافية في بايلك الغرب:

لقد كانت الثقافة الجزائرية في هذه الفترة محصورة على الشريعة، لأن الاهتمام كان متعلقا بأمور الدين لكونها قاعدة التكوين في مختلف المؤسسات التعليمية[2]، فانصب اهتمام العلماء على الفقه والتفسير والحديث[3]، ولهذا كانت ثقافة دينية أكثر منها أدبية[4].

وبالنسبة لبايلك الغرب الجزائري، فقد اتسمت الحياة الثقافية والعلمية قبل تولي الباي محمد الكبير على هذا البايلك، بالخمود والجمود، وذلك راجع إلى انصراف سكان هذا الإقليم إلى التجارة خاصة والاهتمام بالشؤون الاقتصادية بشكل عام، ولعل هذا راجع إلى التدهور السياسي والتأزم الاقتصادي والتفكك الاجتماعي الذي عاناه بايلك الغرب خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين[5].

كادت الحياة الثقافية تخلو من الإبداع والأصالة وسارت في مجاري التقليد والإتباع يعني حيث لم

---

[1] أبو راس الناصر، فتح الإله ... مرجع سابق، ص 160

[2] صالح فركوس، الباي محمد الكبير ودوره في بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب، مجلة الثقافة، عدد 71، ش. و. ن، ت،1982، ص. 18

[3] نفسه، ص18.

[4] ابن ميمون، مصدر سابق، ص ص 57 – 56.

[5] حمدادو بن عمر، واقع الحياة الثقافية والفكرية أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب، حوليات التاريخ و الجغرافيا، العدد:، مخبر التاريخ والحضارة و الجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ، الجزائر ، ص20

يكن يعني العلم عندهم اكتساب معارف جديدة، بقدر ما كان التمكن إلى اكتساب ما خلفه السلف[1]، وقد نتج عن هذا ضعف التعليم وانتشار أقصى حد من التصوف[2]، وبالمقابل ضعف العلوم الأخرى كالعلوم الطبية والرياضيات والعلوم العقلية[3]، و في هذا الصدد يقول يقول "د. شو Dr Shaw": " أن الحياة الفكرية مازالت كما كانت منذ وقت طويل في حالة متدهورة، فالفلسفة والرياضيات والطبيعيات والعلوم الطبية التي اشتهر بها العرب قديما أصبحت الآن من العلوم التي لا يعرف عنها أي شيء"[4].

وكغيرها من مدن الإيالة، كانت مدينة معسكر تعاني من آفة الأمية، حيث يقول في هذا الصدد أبو راس الناصري: " ... في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده وسدت مصادره و. موارده وخلت دياره ومواسمه، وعفت أطلاله ومعالمه لاسيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان، واشرفت شمسها على الأفول، واستوطن فحولها زوايا الخمول".[5]

ويرجع"د. شو Dr Shaw هذا الجمود الفكري إلى النظام الاستبدادي والفوضى السياسية من إنقلابات وثورات، و هذا مناف لانتشار العلوم و الثقافة التي تتطلب الاستقرار السياسي[6] هذا بالإضافة إلى أن الأتراك العثمانيين كان إنشغالهم منصبا على التجارة و جمع، المال وليس على

---

[1] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامي، ترجمة نبيلة أمين فارس، منير البعلبكي، دار الملايين، ط 1، بيروت 1948، ص491.

[2] عبد الجليل التميمي، من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، العدد: 19-20 1980، ص 160.

[3] مزيان عبد الحميد المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة الثقافة، العدد 22، 1986، ص16.

[4]. Shaw, Op Cit ,PP 84 – 85

[5] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تحت رقم1632: ص. 18

[6].Shaw,Op Cit,P 86

العلوم[1]، فبعد استقرارهم بالبلاد عملوا على تعزيز الجيش لصد العدو و الاعتراف بسلطتهم من خلال خطب الجمعة التي كانت تقرأ بإسم السلطان العثماني و دفع الضرائب للسلطة المركزية[2].

إن هذا الوضع لم يستمر على حاله فمع أواخر العهد العثماني شهد بايلك الغرب نهضة علمية بارزة تجلت مظاهرها في بروز حواضره كمراكز إشعاع علمي وفكري في إيالة الجزائر كمازونة ومعسكر ووهران وغيرها.

[1] IBid, P 71.

[2] محفوظ قداش ، الجزائر في العهد التركي ، مقال سابق ، ص 10

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الريف الجزائري ودوره خلال العهد العثماني توصلنا إلى نتائج التالية:

- كما هو معروف عن سكان الأرياف على انهم يحتلون مناطق السهول و الجبال، فهم يتميزون بنمط عيش نستطيع القول عنه انه قبلي فاخذ تسمية العرش أو القبلية و يقصد به سكان الريف الجزائري، حيث أن العلاقة بين الإدارة العثمانية بالمجتمع الريفي كان يحدها النظام الضريبي المطبق فهناك من كان يستفيد من بعض الامتيازات مثل قبائل المخزن والقبائل المتعاونة، مقابل تقديمها لبعض الخدمات للإدارة في الريف وهناك من كان يتحمل عبئ الإدارة وأعوانها وهي قبائل الرعية التي أرغمتها الظروف المادية وغيرها على أن تكون في ذلك الوقت – كانت السلطة العثمانية في الريف تتمثل في البايات والأغوات والمحلات العسكرية التي كانت تجوب الأرياف والحاميات العسكرية المرابطة في الأبراج حيث تمكنوا من فرض سلطتهم وجمع الضرائب من السكان وهذا راجع لدعم الذي كانوا يتلقونه من بعض القبائل المحلية.

وكان تصنيف القبائل حسب علاقتهم بالسلطة قبائل المخزن التي تعتمد عليها السلطة العثمانية وهي التي تتمتع بالتميز والقوة وتسيطر على الأراضي هذا ما جعل منها قاعدة عسكرية وقبائل الرعية وهي الخاضعة لسلطة الحاكمة مباشرة، فقد كانت سلطة الحكام تستغلها بفضاعة هذا ما أدى إلى تفكك وحدتها، أما فيما يخص قبائل المتحالفة فهي شريحة المتدينة قامت ببسط نفوذها على المناطق لمكانتها الدينية وأخيرا القبائل الممتنعة فهي رافضة للخضوع لسلطة الحكام وفضلت الانحياد والابتعاد في المناطق النائية ولكن في نهاية الحكم العثماني تم إخضاعها.

وقد ساهم الريف سياسيا بالمشاركة في مقاومة الوجود الاسباني ورد محاولات التوسع المغربية وقيام بعض القبائل بثورات ضد السلطة العثمانية.

أما من الناحية الاقتصادية فقد ساهم الريف في دعم الخزينة بالضريبة وتزويد المدن بالمواد الأولية الضرورية والحبوب والصوف والجلود باعتباره القاعدة التي يرتكز عليها اقتصاد الإيالة.

أما الوضع الاجتماعي كان متدهورا بسبب الأمراض والأوبئة كالطاعون وعرف كذلك اضطرابات داخلية وكوارث طبيعية وتمثل الوضع الاجتماعي أيضا في عادات وتقاليد سكان الأرياف كاللباس والأكل على حس كل قبيلة.

أما من الناحية الثقافية فقد ساهم وشهد الريف مؤسسات ثقافية ودينية ترتكز على مجال العلم والتعليم وانتشرت في الأرياف الزوايا والرباطات والكتاتيب ومساجد القرى حيث كانوا يتوجهون إليها أبناء الأرياف لتلقي دروس التعليم وإكمال مشوارهم الدراسي في الخارج في المدن.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1.بفايفر سيمون مذكراته عشية الاحتلال، تر: أبو العيد دودو، دار هومة للنشر الجزائر، 2009.

2.خوجة حمدان بن عثمان المرآة تق تع تح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، (د.م.ن).

3.شالر، وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتح إسماعيل العربي، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

4.الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705، ط1، تح وتق وتع: نصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، 2006.

5.العنتري، صالح مجاعات قسنطينة، تح تق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

6.ابن منظور، الإفريقي، لسان العرب، ج1، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، 1988.

7.هابنسترايت، ج. أو، رحلة العالم الألماني ج. أو. ها بنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ /1732م)، تر وتق تع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت.

8.الوزان، حسن، وصف افريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1983.

ثانيا: المراجع.

1. ألتر، عزيز سامح العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

2. أوغلو، خليل الساحلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني -بحوث ووثائق وقوانين -منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 2000.

3. براهمي، نصر الدين تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، الأبيار، الجزائر، 2010، ص177.

4. بوحوش، عمار التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

5. بوعزيز، يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1، طبعة خاصة عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

6. جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب من الفتح الإسلامي إلى 1830، دار المغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، (د.ت).

7. الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج 1، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر (د.ت).

8. خنوف، على السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق، ط1، الجزائر، 2012.

9. الزبيري، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، (دط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دت).

10. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

11. سعيدوني، نصر الدين الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني، طبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

12. سعيدوني، نصر الدين الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

13. سعيدوني، نصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، (دط)، البصائر للنشر والتوزيع، (دت).

14. السليماني، أحمد، تاريخ مدينة الجزائر، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).

15. عباد، صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1500-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دت).

16. بن عتو، بلبراوات المدينة والريف في أواخر العهد العثماني، ج 1و2، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر.

17. عمورة، عمار الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع الجزائر، 2002.

18. فارس محمد خير تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي (1500-1830)، ط1، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1969.

19. قنان، جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين.

20. محرز، أمين، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث إشراف: عائشة غطاس، جامعة الجزائر، 2007-2008.

21. المدني، أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، طبعة خاصة، الجزائر، 1948.

22. مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة الأسعار، المداخيل -، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

23. هلايلي، حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر 2008.

ثالثا: المجلات والدوريات

1. بوعزيز، يحي، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن

19، المجلة الثقافية، ع80، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984.

2. تيتة، ليلى، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القر 19 مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع17، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ديسمبر 2014.

3. حليمي، عبد القادر القروض والنقود في الجزائر خلال الحكم التركي"، مجلة الأصالة، ع 7، منشورات المكتبة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.

4. سعيدوني، نصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية الجزائر –تونس –طرابلس الغرب من القرن 10-14هـ / 16-19م"، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، قسم التاريخ، جامعة الكويت، 2010/1431

5. سلطاني، أحمد، الحوانيت والمرافق العامة في مدينة الجزائر العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، ع7، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2014.

6. صحراوي، عبد القادر، الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية وأنظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون الأسواق"، مجلة الحوار المتوسطي، ع1، جامعة سيدي بلعباس.

7. المشهداني، مؤيد محمود وسلوان رشيد رمضان أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، جامعة تكرت، نيسان 2013

رابعا: الرسائل الجامعية.

1. حماش، خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث إشراف: فاطمة الزهراء قشي جامعة قسنطينة 2006.

2. داده، محمد، اليهود في الجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن 18 حتى 1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد خير فارس مكتب الخنساء جامعة دمشق، 1985.

3. بن صحراوي، كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير،

جامعة بسكرة 2008.

4. صغيري، سفيان العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1830-1671، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2011-2012.

5. عجال كريمة يهود الجزائر ودورهم في تسهيل عملية الاحتلال الفرنسي 1830م، مذكرة مكملة لنيل الماستر، اشراف محمد رشدي جراية تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013-2014.

6. غطاس، عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-180-مقاربة اجتماعية اقتصادية، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث إشراف: مولاي بالحميسي، ج 1، جامعة الجزائر ،2، قسم التاريخ، 2000-2001.

7. قرابن حياة وسعاد بن حركات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر أواخر العهد العثماني (1830-1800)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص حديث ومعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2015-2016.

8. مخطاري مباركة، التحولات الاقتصادية بالجزائر العثمانية (1830-1518)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف دريس بن مصطفى جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2012-2013.

9. مراح، فاطمة وحازم سمية، الأوضاع السياسية والاجتماعية لمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني 1766-1830، قسم التاريخ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016-2017.

10. مغزى، عبيدة مداني، الأوضاع الاقتصادية والسياسية ليهود الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1792-1830، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشراف: ميسوم بلقاسم جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015-2016.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

تشكرات	
إهداء	
مقدمة	أ – هـ
الفصل التمهيدي: لمحة عامة عن البايلك والريف	
المبحث الأول: بايلك الشرق	04
المبحث الثاني: بايلك الغرب	13
المبحث الثالث: الريف	22
الفصل الأول: الريف في بايلك الشرق خلال العهد العثماني	
المبحث الأول: المجتمع الريفي في بايلك الشرق	42
المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية والسياسية	46
المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية	55
الفصل الثاني: الريف في بايلك الغرب خلال العهد العثماني	
المبحث الأول: المجتمع الريفي في بايلك الغرب	79
المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية والسياسية	87
المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية	95
خاتمة	108
قائمة المراجع	110

الملخص

دراسة البايلك والريف الجزائري في العهد العثماني تركز على كيفية تنظيم وإدارة المناطق الريفية تحت حكم الدولة العثمانية. البايلك هو تقسيم إداري كان يستخدمه العثمانيون لإدارة الأقاليم، ويتضمن تعيين مسؤولين محليين يعرفون بالباي للتحكم في شؤون المنطقة. الريف الجزائري في تلك الفترة كان يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي، حيث كانت القبائل والقرى تحكم نفسها إلى حد كبير، مع الحفاظ على ولاء اسمي للسلطة العثمانية.

هذه الدراسة تسلط الضوء على تعقيدات العلاقة بين الدولة العثمانية والريف الجزائري، وكيف تمكن النظام العثماني من الحفاظ على السيطرة على المناطق الريفية من خلال مزيج من الإدارة المباشرة والاعتماد على الهياكل القبلية المحلية.

الكلمات المفتاحية: بايلك، الريف، القبيلة، ايالة.

Abstract

The study of the beylik and the Algerian countryside in the Ottoman era focuses on how rural areas were organized and managed under the rule of the Ottoman Empire. The beylik is an administrative division used by the Ottomans to administer regions, and includes appointing local officials known as beys to control the affairs of the region. The Algerian countryside in that period enjoyed a kind of autonomy, with tribes and villages largely governing themselves, while maintaining nominal loyalty to Ottoman authority.

This study highlights the complexities of the relationship between the Ottoman Empire and the Algerian countryside, and how the Ottoman regime was able to maintain control over rural areas through a combination of direct administration and reliance on local tribal structures.

Keywords: Baylek, countryside, tribe, Ayala.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
ACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

الرقم: /2024

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): خالي السريح

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 207999545

الصادرة بتاريخ: 27-10-2021 عن دائرة: عام الضاهم

المسجل(ة) بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ حديث تحت رقم التسجيل: 191023230490999811

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: الابلاغ والتبليغ الجزائري في العهد العثماني (1518 - 1830م)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: .....

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2024

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): سحنون سمية

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: .....

الصادرة بتاريخ : ..... عن دائرة : برهوم

المسجل(ة) بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ حديث تحت رقم التسجيل: .....

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج, مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: البابلك والربع الجزائري في العهد العثماني 1518 - 1830

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: .....

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.